

عاطف عبد الغنى



صدام الأصوليات
الناشر: دار الخيال
الغلاف: محمد الصباغ
الطبعة الأولى

صدام الأصوليات

نهاية إسرائيل أو نهاية العالم



صدام الأصوليات
نهاية إسرائيل أو نهاية العالم

الطبعة: الأولى ٢٠٠٠
رقم الإيداع: ١٦٥٥٦ / ٩٩
الترقيم الدولى: 6 - 05 - 5979 - 977
دار الخيّال : ٠١٢٣٢٩٠٦١٨

تصميم الغلاف: محمد الصباغ
جرافيك: محمد كامل مطاوع
خطوط الغلاف: لمعى فهيم
كمبيوتر: دار جهاد
٣٥٦٤٧٨٣

صدام الأصوليات

نهاية إسرائيل أو نهاية العالم

عاطف عبد الغنى

مطبوعات دار الخيّال

إهداء

إلى ولديّ: كريم وباسل
أهدى إليهما بعضاً من همومى وأفكارى
وبعضاً من معنى الحياة

عاطف عبد الغنى

نهاية إسرائيل أو نهاية العالم

يأتي الخريف دائماً حاملاً للبشر نزعات تشاؤمية تلقى بظلالها الكئيبة على رؤيتهم للحياة في مجملها. وخريف عام ١٩٩٨م الذى شرعت مع بداياته فى العمل على تحقيق هذه الدراسة، جاء مواكباً لأحداث وذكريات مأساوية صنعها البشر بأيديهم ونسبوها لإرادة الرب، حيث بدت فى الأفق غيوم تكاد السماوات تضيق بها وتسقطها كسفاً على الأرض؛ فتشعلها جحيما هو فى الأصل من صناعة وبضاعة البشر التى ترد إليهم.

أيضاً يأتى هذا الخريف مواكبا لذكرى مرور خمسة وعشرين عاماً على آخر حرب كبيرة شهدتها منطقة الشرق الأوسط، حرب عيد الغفران كما أسمتها إسرائيل، أو حرب السادس من أكتوبر كما أطلق عليها العرب.

ولم تكن تلك هى الذكرى الوحيدة، فقبل حلول الخريف بشهور قليلة أسقطنا من ذاكرتنا ـ عن عمد ـ ذكرى مرور خمسين عاماً على أكبر حادث سرقة فى التاريخ الحديث، وهو سرقة وطن كان اسمه فلسطين، وفى بجاحة احتفل السارق بجريمته كعادته كل عام، بل ودعا بعض العرب لمشاركته المناسبة على أرضهم داخل وخارج مبانى سفاراته لكنه، للحق ـ راعى مشاعرهم المرهفة فسمى المناسبة عيد الاستقلال.

وحول أيام فصل الحزن هذا تناثرت ذكرى فواجع (صغيرة) لم تندمل جروحها عند الشيوخ والكهول، ولم تغب مناسباتها عن بعض الشباب المهموم بقضايا وطنه العربى، فواجع من أمثال مذابح دير ياسين وكفر قاسم وقانا و...

وإذا كانت هذه هى أخبار الماضى البعيد والقريب فأخبار الحاضر الراهن تعلن كل يوم عن تعثرات السلام المتتالية، ذلك السلام الذى نستجديه ويضن به علينا عنت وغطرسة حكام إسرائيل.

هذا هو الواقع الـراهن على ساحتنا، فـماذا يحدث على الساحـة الأخرى، ساحة أعداء الأمس، أصدقاء اليوم؟!

أخبـرنا درس التاريـخ أن رجال الديـن والسياسـة دائماً وأبـدا لم يتـفقوا بسـبب تضارب مـصالحهم، إلا أنهم لـسوء طالع العـرب؛ اتفقوا فى إسرائـيل ـ راضين أو مرغمين ـ حول هدف واحد أخير هو قيام مملكـة إسرائيل الدينية على أشلاء الأغيار (غير اليهود)، وعند قـيامها سوف يتحقق بنظرهم الوعـد الإلهى، ويشمل رضا رب الجنود شعبه وأبناءه الذين سيدخلون مرة أخرى فى عهده.

إنها نـهاية البدايـة أو بداية النهـاية، سمهـا ما شئت لكـن لابد أن نعى جمـيعاً أن رجال الدين اليهـودى بدأوا يحسبون لهذه النهـاية بالشهور والأيام بل ويستـحثونها بالأفعال حتـى يأتى المسيح المخلّص إلـى أرض الميعاد قبل السبـت المقدس أو الألف السابعة من التاريخ اليهودى. وحيث إننا ـ مع نهاية القرن العشرين ـ نكون قد اقتربنا من نهاية الألف السادسـة من التقويم اليهودى، فهذا يعنى أننا اقتـربنا من أيام المسيح اليهودى، وما عـلينا إلا أن ننتظر لمدة مـائة وأربعين عاماً حتى نصـل إلى فجر الألف السابعة.

هذا ماتقوله نبوءات الحاخامات اليهود، هؤلاء الذين لم يضيعوا انتظارهم سدى، لكنهـم شرعوا يهيئون عـقول أتباعهم لاستقـبال المخلّص ويعدون أدواتهـم المقدسة للـخدمة فى الـهيكل الـثالث، فـإذا تأخر المسـيح عن مـيعاده فهـم على استـعداد أن يصنـعوه ـ طازجا ـ صناعـة أرضية، أو يأتى معـلباً من سمـاء الوهم فى عبوة نـاسفة يفجرونها فى وجه العالم.

وكما أقاموا دولـة إسرائيل، فسوف يعملـون على إقامة مملكة إسرائـيل حتى ولو دفعوا التاريخ إلى حافة الهاوية.. فكل المقدمات تقود إلى تلك النتيجة الأخيرة، المهم أن صبرهـم لن ينتـظر نزول المدد مـن السماء؛ لأنـه لن ينزل، وسـوف يعمل لابـسو السواد فى إسرائـيل على تحقيق نبوءاتـهم المقدسة وسوف يستعـجلون الخراب وهم يحسبون أنهم يطلبون الجنة، أما نحن فلو صدقت نبوءاتنا أو قل «حساباتنا» المتشائمة فسوف تشملنا جمـيعاً نهاية مخيفة بل ومرعبة. إن لم نشهدهـا نحن فسوف يشهدها أبناؤنا أو أحفادنا.

عاطف عبدالغنى

خريف ١٩٩٨

صـــدام الأصـــولـــيـــات

1

آخــر الأيام كما تراها الديانات الإبراهيمية

دار الخيّـــال

الآيات الكبرى

«قد يبدو أن كل أمة حرة فى ذاتها تتحرك لتصنع تاريخها الخاص، ولكن الحقيقة أنه لا تستطيع أمة أن تتحرك دون أن يكون تحركها ذا تأثير على غيرها وعلى حركة التاريخ كله، والله يوجه جميع تحركات الأمم نحو غاية يتجه لها التاريخ صاغراً وبإحكام»"١".

ما سبق من كلام هو وجهة نظر مسيحية صاحبها الراهب الأب متى المسكين، يريد أن يقول ببساطة إن الله صانع التاريخ إلى غاية.

وفى الإسلام إرادة الله نافذة فى كل شىء ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾"٢" وفى القرآن سرد لما جرى على اليهود ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾"٣".

وعلى الرغم من أن التفاسير الأولى للقرآن الكريم وجدت فى الآيات السابقة أحداثًا وقعت بالفعل على اليهود فإن التفاسير المتأخرة وعامة المسلمين يرون فى الآيات نبوءة صادقة لما حدث فى الخمسين سنة الأخيرة من قيام دولة إسرائيل واستقواء شوكتها.

وعلى الرغم من أن علم الساعة «يوم القيامة» الذى هو يوم الدينونة فى المسيحية أو ما يشبه يـوم الرب فى اليهودية هو أمر مـجهول فى كثير من جوانـبه، فإن المدهش أن العلامات التى تسبـق هذا اليوم تتشابه إلى حد كبير فى الديانـات الإبراهيمية الثلاث، وأهم ما اتـفق عليـه التراث اللاهـوتى للديانـات الثلاث من هـذه العلامات هـو قيام معركة كبيرة وأخيرة بين قوى الخير والشر تنتصر فيها قوى الخير.

وبالطبع يختلـف توصيف هذه القوى الخيرة فى الديانات الثـلاث ثم يختلف بعد ذلك سيناريو الأحداث.

فإذا كانـت الأمم تتحرك نحو مـصيرها بإحكـام صياغة العلـى القدير فهى تـنمو وتشيخ وتنتهى إلى مـيعاد معلوم تماماً مثل الإنسان، فما يجوز عـلى الأخير يجوز على الأمم.. لكن ما هو وصف النهاية الذى ورد فى الديانات الإبراهيمية؟.

هناك حديث رواه حذيـفة بن أسيد بن أبى شريحة الغـفارى ـ رضى الله عنه ـ قال الإمام أحمد بـن حنبل: حدثنا سـفيان عن فرات عن أبـى الطفيل عن حذيـفة بن أسد الغفارى قال: أشرف علـينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الـساعة فقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حـتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مـغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج الدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمـشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة الـعرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس...» إلى آخر الحديث.

وورد فى تفسير ابن كثير أيضا وصف للدابة التى تخرج من الأرض حيث قال فى حديـث عن وهب بـن منبـه إنه حكـى من كلام عـزير «أحد أنـبياء الـيهود» أنـه قال: (وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها).

وفى سورة الأنبياء حديـث عن يأجوج ومأجوج: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾«٤».

وفى التفـاسير أن يأجوج ومأجوج شرذمـة من أولاد يافث تم حبسهـم خلف سد بناه ذو القرنين رحمة من الله، فإذا جاء وعد الله دك هذا السد وأسرعت هذه الشرذمة فى المشى إلى الفساد«٥».. [بعض المسيحيين من الإنجيليين فى أمريكا رأوا فى الروس

الشـيوعـيين قـوم يأجـوج ومأجـوج، ومن أشهـر هؤلاء الـرئيـس الأمريـكى رونـالد ريجان].. والتـصوير القرآنى فى سورة الـكهف الآية ٩٤ لقوم يأجوج ومـأجوج أنهم قديمـاً عاثوا فى الأرض فـساداً ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

أما وصف الـدجال فى السيـرة النبوية فـقد ورد فى حديث رواه الإمـام أحمد أن رسول الله ﷺ ذكر الدجـال ذات غداة فخفض فيه ورفـع حتى ظنناه «السـامعون» فى ناحية الـنخل فقال: «نيـر الدجال أخوفنى علـيكم، فإن يخرج وأنـا فيكم فأنا حـجيجه دونكم، وإن يـخرج ولست فيـكم فكل امرىء حجـيج نفسه، والله خـليفتى عـلى كل مسلـم، وإنه شاب جعد قطـط عينيه طـافية، وإنه يخـرج من خلة بين الشـام والعراق فعاث يمينا وشمالاً.. يا عباد الله اثبتوا..».

ويمضى حديث رسول الإسلام ﷺ يصف زمن هذا الـدجال وأفعاله التى يفتن بها الناس إلـى أن يأتى المسيـح عيسى ابـن مريم فينزل عـند المنارة البـيضاء شرقـى دمشق ويدرك المسيح الدجال فيقتله.

وهكذا تـدور المعركة الأخيـرة بين الدجال وعيسـى ابن مريم حول بيـت المقدس ومديـنة اللد، ويـكثر أتبـاعه من اليـهـود، فـعن أنس بن مــالك ـ رضى الله عـنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا، عليهم الطيالسة».

على أن ظهـور الدجال ـ بين اليهـود ـ سيسبقه ظـهور المهدى بين المسـلمين، وهو رجل من أهل بيت النبـوة يستولى على ممالك المسلمين ويؤيـد الدين، وقيل إنه سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلـما وجورا وسوف يعاون المسيح ابن مريـم فى القضاء على المسيخ الدجال .. وهذا من علامات الساعة الكبرى.

وفى حديـث آخر ضعيف الإسـناد أن النبى ﷺ فى رحـلة معراجه تحـدث فى أمر الساعة مع أنبياء الله إبـراهيم وموسى وعيسى ـ سلام الله عليهم جمـيعاً ـ فلم يجبه إلا الأخير فيما عهد إليه ربه أن الدجال خارج ومعـه قضيبان فإذا رأى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص وأهلكه الله حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتى كافراً فتعال فاقتله، قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم.

وفيما يشبه هذا الحديث السابق حديث آخر رواه أبو هريرة عن الرسول ﷺ قال: «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبيء اليهود من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودى خلفى تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

أما عن علامات الساعة ـ الصغرى ـ فسوف نجد هناك تشابهاً كبيراً فيما يخص هذه العلامات ما بين التراث الإسلامى وما ورد فى الأناجيل، فكلا المصدرين يخبرانا عن وقوع اضطرابات وفتن وزلازل وحروب تقع بين أمم دعوتها واحدة وهرج وقتل.

والخلاصة أن الصورة القرآنية ليوم القيامة أو يوم الدين تلخصت فى أن علمها عند الله، ولم يذكر القرآن من علامات تسبقها إلا ظهور الدابة وفتح يأجوج ومأجوج، بينما أفاض التراث الإسلامى فى وصف الآيات والعلامات التى تسبق الساعة والتى من بينها معركة تقوم بين المسلمين واليهود فى آخر الزمان.

رؤية مسيحية

المسيحية تؤمن بيوم الدينونة وفيه يكون المجيء الثانى للرب «المسيح» وتسبق مجيئه القيامة العامة وهى قيامة الأجساد: «لأنه لابد لنا جميعا من أن نظهر لدى كرسى المسيح للقضاء، لينال كل واحد جزاء ما عمله وهو فى الجسد، أخيراً كان أم شرا»[٦].

وكما فى الصورة القرآنية لا يعلم أحد أمر يوم الدينونة إلا الله: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة أو الأوقات التى جعلها الأب فى سلطانه»[٧]، وسوف يأتى المسيح فى لحظة فى طرفة عين أو كاللص فى الليل كما تنص الأناجيل.

وتعطى لنا الأناجيل علامات تسبق يوم الدينونة يجتهد البعض فى إيجاد تفسيرات لها من الأحداث التى وقعت على المسكونة، فمثلا عندما تقول الأناجيل إنه: «تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة» يفسر البعض ذلك بأنه الحرب العالمية، أو عندما يرد فى إنجيل متى أنه «سيكون مسحاء كذبة» يقول المفسرون إن هؤلاء المسحاء الكذبة

ظهروا بين بنى إسرائيل بكثرة، وبغض النظر عن هذه التفسيرات فإن العلامات التى وردت فى الأناجيل عن الأحداث التى سوف تسبق يوم الدينونة صريحة وواضحة، وإضافة إلى العلامات السابقة فقد ورد فى إنجيل لوقا أنه سوف تكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة ومخاوف وعلامات عظيمة فى السماء «٨».. أيضا سوف يُضطهد المؤمنون: «ويلقون أيديهم عليكم ويطرودونكم ويسلمونكم إلى مجامع وتساقون أمام ملوك لأجل أسمى»«٩».

وسوف تأتى الخيانة من أقرب الأقرباء وهو شىء شبيه بما حدث فى نظم الحكم الفاشيستية: «وسوف تسلمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء وتكونون مبغضين من الجميع لأجل أسمى»«١٠».

ويكون هذا الارتداد عن الإيمان الذى يشبه التيار الهادر بسبب إنسان الخطية ابن الهلاك «الدجال» ومعجزاته التى يفتن بها الناس «يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين» «١١»، وفى تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع«١٢».

ومن العلامات المهمة التى تسبق يوم الدينونة وتتجاهلها الطوائف التى تنسب نفسها للمسيحية بينما تستخدم المسيحية ستاراً لأهداف سياسية خاصة باليهود مثل جماعة شهود يهوه، تلك العلامة التى تتحدث عن خلاص اليهود الروحى بدخولهم فى الإيمان المسيحى: «إن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل «١٣».

والقيامة طبقا للتفسير اللاهوتى للأرثوذكس هى قيامة للدينونة مباشرة وليس للملك الألفى«*»

.. بينما ترى الكاثوليكية أن أنفس الأبرار تنال ثوابها كاملا حال خروجها من الجسد بينما يُعاقب الأشرار فى الجحيم وتتطهر جميع النفوس بعذابات لا ينجو منها أحد حتى الرسل والقديسين إلى أن يصبحوا أهلا للتمتع بالأمجاد السماوية «١٤».

(*)فكرة الملك الألفى.. هى أن تقوم حكومة ثيوقراطية على الأرض بمثابة جنة ويكون مركزها القدس وهى تمثل مملكة إسرائيل ويستمر الحكم فيها لمدة ألف عام إلى أن تكون هناك دينونة أخرى.. والفكرة فى منشئها سياسية وليست لاهوتية وللأستزادة تستطيع أن تعود لكتاب المؤلف.. شهود يهوه مملكة إسرائيل على الأرض.

ويدور اعتقاد البروتستانت والأدفنتست وشهود يهوه حول فكرة الألفية وهى فكرة تسربت من اليهودية إلى المسيحية الأولى كتفسير حرفى لسفر الرؤيا، والدليل أن فكرة مملكة أرضية يحكمها اليهود كانت جاهزة قبل وضع سفر الرؤيا بسنين عديدة «وبالطبع قبل المجىء الأول للمسيح» فتحت عبودية الحكم الرومانى وفى ظل الضغوط السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى رزح تحت نيرها اليهود انطلقت مخيلاتهم فى أحلام ورؤى جامحة تعبر عما تكنه صدورهم التى يجثم عليها الاستعمار، وعلى إثر ذلك بدأوا يفسرون نبوءات العهد القديم عن مجىء المسيح تفسيراً ماديا خياليا بما يتناسب وفكرهم المادى، ومن هنا ظهرت فكرة الحكم الألفى عوضًا عن فشلهم الدينى واتساقا مع انحرافهم الخلقى «١٥».

وعادت هذه الفكرة للظهور بقوة مع ظهور المذهب البروتستانتى فى المسيحية، ثم روجت لها اليهودية فى توظيفها السياسى للدين وصارت من المعتقدات الرئيسية لجماعات تنتسب للمسيحية مثل شهود يهوه والأدفنتست والإخوة البليموث.

ويكاد الفكر المسيحى بكل طوائفه يتفق على أن هناك معركة نهائية سوف تقع بين الخير والشر سوف تدور فى منطقة الشرق الأوسط وقد ورد ذكر هذه المعركة فى آخر أسفار الكتاب المقدس وهو سفر الرؤيا فى إصحاحه السادس عشر الأعداد ١٣- ١٦ التى تصف ما يحدث كالآتى: «ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شىء، ها أنا آتى كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عريانا فيروا عريه، فجمعهم إلى الموضع الذى يدعى بالعبرانية هرمجدون».

وتفسير ما سبق طبقاً للرؤية المسيحية التى ترفض فكرة الألفية، أن اجتماع الملوك لصنع حرب ضد الله سيكون فى مكان اسمه «هرمجدون»، هذا المكان هو جبل «مجدو» على القدس، والإشارة إلى هذا الجبل هى إشارة رمزية، حيث إن هذا الجبل هو الساحة التى شهدت انتصار المؤمنين ـ أحيانا ـ وانتصار التنين وأعوانه أحياناً أخرى لكن فى النهاية سوف ينتصر الرب يسوع على أعداء الإيمان «الوحش والنبى الكذاب

وملوك الأرض» كما نص على ذلك الإصحاح التاسع عشر من نفس السفر «ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهـم مجتمعين ليصنعوا حربا مـع الجالس على الفرس ومع جنده، فقبض عـلى الوحش والنبى الكذاب معه، الصانع قـدامه الآيات التى بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته».

فإذا كان البعض يفسـر رؤيا يوحنا اللاهوتى- السابقة- تفسيرا رمزياً، فإن بعض الطوائف المسيحية التى خرج أكثرها من عباءة البروتستانت تفسر ما ورد فـى السفر تفسيـرا مادياً؛ فالمدينـة المقدسة «القدس» سـوف تداس من الجميع ويـكون ذلك سر حرب عالمية تقوم فيها أمة على أمة ومملكة على مملكة.

وهنا نفهم أيـضا أن كل الطوائف المسيحية تـؤمن بيوم الدينونة بعد معـركة نهائية، لكن التفسيرات اختلفت حول ماهيـة هذه المعركة وسيناريو الأحداث بعدها: هل هى دينونـة نهائية أم يعـقبها حكـم ألفى يعيش فـيه المؤمنون «الـذين يعتقدون فـى خرافة الحكم الألفى» ألف سنة سعيدة يقيد فيها الشيطان فى سلاسـل.

وهكذا اختلفت المعـتقدات الطائفية فى المسيحية طبـقا لاختلاف تأويل ما ورد فى سفر الرؤيا الذى وضعه يوحنا اللاهوتى قرب نهاية القرن الأول الميلادى «١٦».

وقبل أن نـنتهى مـن توضيح الاعتـقاد المسيـحى حول يوم الديـنونة نود أن نـلفت الانتباه إلى أنه قد ورد فى سفر الرؤيا أيضا ذكر ليأجوج ومأجوج كعلامة من علامات النهـاية: «ثم متـى تمت الألف سنـة يحل الشيـطان من سجـنه.. ويخرج لـيضل الأمم الذين هم فى أربع زوايا الأرض. يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب».

يوم الرب

الدارس للتـوراة «كتاب اليهود المقـدس» لابد أن يستوقفـه أمر محير يتعـلق بيوم الدينونة، ففى الأسفار الأولى من هذا الكتاب المـنسوبة لنبى الله موسى ليس هناك ذكر لهذا اليوم ـ تقـريباً على الإطلاق ـ على أن هناك نـصا فى سفر التكوين يشـير إلى نبى منتظر «مسيا» سيخلف موسى سلام الله عليه فى رسالته كنبى، يقول النص:

«لا يزول قضيب مـن يهوذا ومشترع من بين رجـليه حتى يأتى شيـلون، وله يكون خضوع شعوب «١٧».. وفيما بـعد فسر المسيـحيون هذه النبـوءة على أنها تشـير إلى المسيـح الرب بينمـا فسرها بعـض علماء المسلـمين على أنهـا تشير إلى نـبى الإسلام محمد ﷺ.. وأنا أعتقد أن من قال بهذا من علـماء المسلمين قد وضع نفسه فى حرج؛ إذ كيف يـحتج إلى كـتاب يرى أنه قـد حرّف ويؤول نصـوصه على أنـها نبوءة لـنبى الإسلام؟!..

وفى نفس الـوقت تمسك اليهود عـلى أن الكلام يشير إلـى مسيحهم المنـتظر الذى سيأتى من نسل داود ويسمى بالعبرانية «هاما شياح بن دافيد».

ونستطيع أن نجمع عدة إشارات وردت فى أسفار الأنبياء«*» من هذه الإشارات ما ورد فى سفر ملاخى عن يـوم الرب: «هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطـريق أمامى ويأتى بغتة إلـى هيكله السيـد الذى تطلبونه وملاك الـعهد الذى تسرون به. هـو ذا يأتى قال رب الجنود.. ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يـثبت عند ظهوره.. لأنه مثل نار المحمص ومثل أشـنان القصار.. فيـجلس محمصـا ومنقباً لـلفضة فينـقى بنى لاوى ويصفـيهم كالذهب والفضـة ليكونوا مقربين للرب تقـدمة بالبرّ فتكون تقدمـة يهوذا وأورشليم مرضية للرب كما فى أيام القدم» «١٨».

وعلى لسان الرب يـقول ملاخى أيضا فى الإصحاح الذى يلـى الإصحاح السابق: «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مـجىء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن».

وبهذه الجملـة تنتهى نصوص العهد الـقديم «التوراة العبرانية» وكأنـها تتدارك ما سكـتت عنـه النصـوص الأولى طويـلا، لكن يـبدو أن يوم الـرب بمفهـومه اليـهودى يختلف كثيراً عن المـفهوم الإسلامى أو المسيحى ليوم الدينونة، وعلـى سبيل التوضيح فقد ورد على لسان عامـوس وهو أيضا نبى من أنبياء اليهودية المـتأخرين: «ويل للذين يشتهون يوم الرب، لماذا لكم يوم الـرب هو ظلام لا نور، كما إذا هرب إنسان من أمام

(*) هى آخر أسفار العهد القديم «حسب الترتيب التاريخى» وتلك الأسفار يؤمن بها اليـهود الربانيون بينما يسقطها اليهود السامريون من توراتهم.

الأسد فصادفه الدب أو دخل البيت ووضع يده علـى الحائط فلدغته الحية.. أليس يوم الرب ظلاما لا نورا وقتاما ولا نور له»[١٩].

وحسبما يـرى العالـم الفرنسى شارل جـينيير من فحوى الكـلام السابق الذى ورد على لسان عاموس أن نبى اليهودية لم يختـرع عبارة يوم الرب ولا الفكرة الكامنة فيها بل وجدها عقيدة شائعة بين قومه وعصره.

ويضيف جينيير: «إنه يبدو أيضا من هذه العبارة أن اليهود على عهد عاموس كانوا قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء قضيتهم بقضية الله فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل لهم انتصـار شعب الله المختار «كما يرون أنـفسهم» على الأمم الأخرى التـى ستكون قد دانت لهم بالخضـوع، أما عاموس النبى نفسه فمن الـواضح أنه يرى أن يوم الرب سوف يمتاز بالعدالة الإلهية التى سيرتعد منها الشعب الإسرائيلى نفسه رعبا بسبب ما اقترفه من جرائم وآثام»[٢٠].

لقد حاول عاموس فى عبارة صريحة أن ينبـه المخمورين بنشوة فكرة اختمرت فى قلب العـنصرية والتعصب الـقومى وتجسدت فى بشـارة بمسيح مخلّص يأتـى ليجدد عهد الشعب مع الرب فـتتجدد أمة اليهود وتصير أورشليم المديـنة السماوية أو قلب العالـم، ويقيم فيـها الرب على جـبل صهيون ويـتجمع المنـفيون والمشردون مـن بنى إسرائيل، وتزول الأحـقاد وينتهى الموت.. لقـد صارت هذه الفكرة تراثا فـى اليهودية وهى فكرة سياسية فى المقام الأول خلقتها أوهـام اليهود من قلب يأسهم أثناء السبى أو التشتت الأول فى بابل الذى استمر حوالى سبعين عاماً جمع أثناءها اليهود نصوصهم المقدسة «العهد القديم والـشريعة الشفوية أو التلمود»، وصار تفكيـرهم فى الغيبيات يتخـذ اتجاهين محددين هـما: نهاية العـالم، والخلاص على يـد مسيح يأتى مـن نسل داود»[٢١].

وانتظـر اليهود المـسيح المخلّـص لكنهـم استبعـدوا يوم الرب أو آخرة الأيـام كما يسمى فـى العبرية «آحريت هيـاميم» ولـم ينس مروجو الـبشارة أن يجعلوا للإنسانية نصيباً فـى مملكة اليهود الألفيـة السعيدة بعد أن يأتـى المسيح ويقيمها، إنـها فكرة الحق الإلهـى فى السلـطة والتـعطش إلى المـغانم الماديـة والحكم الأرضـى، انبثق ذلـك من حضيض الخوف والدمار بعد خراب يهوذا وإسـرائـيل والسبى؛ ليخلق صورة سـاحرة

تداعب عواطف اليهود «٢٢». لقد أغرت الفكرة كثيرين- من اليهود- بادعاء النبوة ليعتلوا سدة اليهودية، ونستطيع أن نرصد من كتب التاريخ العديد من قصص هؤلاء اختلفت التفاصيل الصغيرة لحكاياتهم باختلاف المناخ السياسى الذى عاشوا فيه والمجتمعات التى توجهوا إليها، لكن صلب الفكرة ظل قائما فى تصورات اليهود؛ كل جيل منهم يبحث عن مسيحه أو يصنعه حسب هواه.

ومن أسفارالتوراة نعود مرة أخرى لنرصد نبوءات ثلاثة من أنبياء اليهودية عن المسيا.

يقول أشعياء فى سفره: «الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما، الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» «٢٣».

وفى إصحاحات أخرى يقول: «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم.. فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معا وصبى صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهما معا والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان، لا يسوءون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر.. ويكون فى ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتنى بقية شعبه التى بقيت.. وينقرض المضايقون من يهوذا، أفرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق أفرايم.. وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بنى المشرق معا، يكون على أدوم ومؤاب امتداد أيديهم وبنو عمون فى طاعتهما، ويبيد الرب لسان بحرمصر ويهز يده على النهر بقوة ريحه.. صوتى واهتفى يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم فى وسطك» «٢٤».

هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم «٢٥».

لقد اتخذ الأصوليون الإنجيليون ومروجو فكرة الألفية وصف أشعياء دون تأويل كوصف مادى على الحياة فى الألفية السعيدة حتى إننا نرى فى كتب شهود يهوه تلك

الصور الملونة التى تصف هذه الحياة التى يسكن فيها الذئب مع الخروف ويأكل الأسد التبن وهو يسكن إلى جوار البقرة فى دعة وسلام بينما يداعب صبى نمراً وتشملهما وداعة، كل هذا يحدث بين ألوان زاهية للطبيعة وجداول الماء الرقراقة ولا مانع من إضافة شخص ذى بشرة سوداء يمثل الزنوج وامرأة ذات عينين ضيقتين وبشرة صفراء إلى آخر هذه الخرافات المقدسة.. نلاحظ أيضا أن الأعداء الذين ذكرهم أشعياء فى سفره هم الأعداء التاريخيون الذين عاصروا زمن كتابة السفر لكن النبوءة اعتبرتهم رمزيين شبه دائمين.

ويسبق مجىء المسيا نبوءات وردت فى أشعياء عن الصوت الصارخ فى البرية: «صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب.. كراع يرعى قطيعه، بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات» «٢٦».

أما فى سفر دانيال فقد اكتملت الصورة ولم يعد يحتاج الأمر إلى تأويل، لقد اعتبر اليهود أن النبوءة واضحة وضوح الشمس، فحين يقول دانيال فى سفره: «فى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله إسرائيل مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد» «٢٧».

وفى سفر أرميا: «ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض، فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا»«٢٨».

الشىء المدهش حقا فى هذا السفر «سفر أرميا» أن نصوصه أكثرها تعلن كفر ونزق وفُجر بنى إسرائيل وتهدم من الأساس مسألة العهد والاختيار مع الشعب المختار وتوضح أن مسألة الخصوصية ترتبط بالإيمان الحقيقى وليست عهدا أبديا، كما تشرح أن الإيمان عمل وليس طقوسا كهنوتية مفرغة من معناها الحقيقى.. وبالرغم من هذا فقد وجد فيه اليهود أيضا ظلاً لنبوءاتهم ووجد فيه جامعو النصوص المقدسة فى المنفى وثيقة مقدسة لجلد الذات وتأنيبا للعصاة وتفسيرا دينيا لمسألة السبى والنفى والخراب الذى حل بأورشليم «٢٩».

ويتنبأ ملاخى عن المرسل الذى سيعد الطريق لمجىء المسيا، ويتحدث عنه بوصفه إيليا النبى، وقد صنع اليهود من ذلك أسطورة دينية وشعبية ورفعوا مكانة إيليا النبى لتضارع مكانة موسى فى عقيدتهم «عليهما السلام»، وحتى الآن فالنبى إيليا من الأركان الغيبية فى الفكر اليهودى حتى أنه كثر الحديث عنه فى التلمود والمدراش وفى كتب التصوف، وفى الخيال الشعبى خلط اليهود بين إيليا والمسيح المنتظر، وقال بعضهم إن المسيح هو ابن المرأة المترملة الذى أقامه إيليا من الموت وإن هذا هو الذى سيأتى فى آخر الزمان بعد أن يتقدمه إيليا «إلياهو» «٣٠».

على أن هناك أعدادا وردت فى أشعياء وتمسك اليهود بأنها تصف المسيح المخلّص بينما تمسك المسيحيون إنها تصف عيسى ابن مريم ـ سلام الله عليه ـ ويتم تأويل الأوصاف التى وردت فى السفر على أنها بالفعل تصف عيسى ابن مريم.. تقول الأعداد: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسما عجيبا مشيرا إلهًا قديرا أبا أبديا، أميرا للسلام، لنمو رياسته وللسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته، ليقويها ويوطدها بالعدل والإنصاف من الآن إلى الأبد.. إن غيرة رب الجنود تصنع هذا» «٣١».

ولنا أن نلاحظ الأوصاف التى تتسق مع الفكر المسيحى بالنسبة لعيسى عليه السلام من مثل، إلها وأبا، أميراً للسلام، ابنا.. إلى آخر تلك الأوصاف.

.. وبعد فإن حزقيال قد ذكر شيئا فى سفره عن يأجوج ومأجوج «٣٢» وبالتالى فهناك اتفاق فى الديانات الإبراهيمية الثلاث حول هذه التيمة «الحدث» وإن كانت النبوءة التوراتية توظفها لأغراض سياسية حتى إنها تستحضر أعداء اليهود التاريخيين وتسقطهم على الحدث.

إن الإصحاحات تصف معركة تقع على أرض إسرائيل فى آخر الأيام تكون فيها قوى الخير التى يمثلها شعب الرب «اليهود» فى مواجهة قوى الشر يأجوج ومأجوج وشعوب الأعداء الأخرى وينتهى الأمر بما يشبه النهاية السعيدة لشعب الرب حتى يتقدس الرب فى إسرائيل وترى الشعوب مجده وتعرف جميعا أنه الرب.

صـــدام الأصـــولـــيـــات

2

الـهـيـكـل

دار الخيّـــال

البناء الأول.. والاختفاء الأخير

وفيما هو يقترب «المسيح عيسى ابن مريم سلام الله عليه» نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلا: «إنك لو علمت أنت أيضا حتى في يومك ما هو لسلامتك ولكن الآن قد أخفى عن عينيك فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنوك فيك، ولا يتركون فيك حجرا على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك..

يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا،هوذا بيتكم يترك لكم خرابا».

لقد تنبأ المسيح عيسى ـ سلام الله عليه ـ بدمار أورشليم وخراب الهيكل «حسبما ورد فى إنجيلى متى ولوقا» وهذا ما وقع بعد رحيله بحوالى أربعين عاما.. لقد تمت الدورة ونفذت إرادة الله عن قصد.

وفيما كانت أمة إسرائيل لا تزال فى صحراء التيه تبحث عن وجهتها إلى أرض فلسطين، جرى تأسيس كهنوت فى سلالة هارون أخى موسى، وتم بناء خيمة حملها بنو إسرائيل معهم فى ترحالهم وصارت مركزا للعبادة وتقديم الذبائح، وبعد أن

دخل بنو إسرائيل أرض كنعان واستقروا فيها جرى تأسيس ملكية أرضية، كان ثانى ملوكها داود عليه السلام سنة ١٠٧٧ ق. م، وفى عهده تأسس مركز للملكية والكهنوت فى أورشليم، وبعد موت داود ورثه ابنه سليمان الذى بنى هيكلا للرب، هذا الهيكل الذى تم تخريبه والإغارة عليه أكثر من مرة قبل أن يختفى وجوده تماما من على وجه الأرض سنة ٧٠ ميلادية. وما بين البناء الأول والاختفاء الأخير كان بنو إسرائيل قد تم سبيهم إلى بابل لمدة سبعين عاما وفى هذا السبى، ومن قلب اليأس والضياع صنعت العقلية اليهودية أسطورة «المسيا» الذى سيأتى يوماً ما من سلالة داود وفى عهده ستخضع الأمم لإسرائيل. وترسخ هذا الرجاء وصار أسطورة ونبوءة مقدسة متبلورة بوضوح فى الدين اليهودى وارتبطت بها ارتباطا شرطيا لازما إعادة بناء هيكل الرب فى أورشليم!!

أين ذهبت «الشاكيناه»..؟!

وقبل موسى لم تذكر لنا التوراة كيف كان بنو إسرائيل يؤدون طقوسهم التعبدية، لكن سفر التكوين يذكر لنا رؤيا للنبى يعقوب «إسرائيل» شعر معها بالرهبة فاتخذ ذلك دليلا على قداسة المكان الذى اضطجع فيه ما بين بئر سبع وحاران فاستيقظ يعقوب من نومه وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان! ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء. وبكى يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه ودعا اسم المكان بيت إيل «بيت الرب»، ونذر يعقوب نذرا إن حفظه الله فى طريقه وأعطاه مأكلاً وملبساً ورجع بسلام إلى بيت أبيه يكون الرب له إلها ويكون الحجر الذى أقامه «بيت الله».

أيضا فى سفر التكوين نجد ذكرا عن المذبح الذى أقامه يعقوب «عليه السلام» ودعاه إيل «أحد أسماء الإله فى العبرية» ولم تزد التوراة على وصف أنه مذبح.

وفى قصة صراع نبى الله موسى مع فرعون التى توسعت فى ذكرها التوراة نجد أول ذكر لعبادة طقسية جماعية لبنى إسرائيل ـ ولو أن ذكر ذلك جاء مقتضبا ـ حين

يأمر الله موسى أن يخبر فرعون فيقول له: «الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك قائلا أطلق شعبى ليعبدنى فى البرية» «٣٣».

وابتداء من الإصحاح الثالث عشر فى السفر الثانى للتوراة «سفر الخروج» تتجلى واضحة فكرة وجود الرب بين شعب إسرائيل، بل تحاول النصوص أن ترسم له شكلا ماديا واضحا يعكس تأثر العبرانيين بالأسطورة المصرية حول الإله: «وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم. لكى يمشوا نهارا وليلا» «٣٤».

وفى الإصحاح الخامس والعشرين يأمر الله موسى «ضمن وصايا عديدة» أن يصنع له ـ للإله ـ مكانا مقدسا ليسكن وسط إسرائيل، وفى أسفار تالية سوف يحدد الإله مواصفات هذا المسكن تحديدا دقيقا وسوف تطلق عليه التوراة فى نصوص تالية «خيمة الاجتماع» ونفهم من الاسم أنها صارت مكانا لاجتماع موسى أو مندوب بنى إسرائيل مع الإله، وكانت تحوى ضمن ما تحوى تابوت العهد الذى أمر الرب بصنعه طبقا لمواصفات محددة أمليت على موسى من السماء ليحفظ هذا التابوت الشهادة التى تلقاها موسى «الوصايا العشر»، وقليلا من المن والسلوى حتى يتذكر بنو إسرائيل رحلة خروجهم من مصر.

وعلى مقدمة هذا التابوت صنع الصانع طبقا لأوامر الرب كروبين من ذهب باسطين جناحيهما وناظرين كل واحد إلى الآخر نحو الغطاء، ثم يقول الرب لموسى:

«وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل».

وعلى عهد داود وسليمان حاولت اليهودية أن تتخلص من النظرة المادية التى صبغتها على الإله عبر عصور طويلة فتساءلت التوراة فى تلك الأسفار المتأخرة نسبيا: هل حقا يسكن الله على الأرض؟! لقد حاول الفكر اليهودى أن يتخلص من الأسطورة أو يفتح بابا لتأويلها، وتلك مسألة مغرية بالحديث والخوض فيها لكنها ليست موضوعنا فلنعد إلى ما بدأناه.

أما عن سكن الرب فى وسط بنى إسرائيل ليكون إلههم تميزا له عن آلهة الشعوب

الأخرى، وتكريسا لفكرة تجسيد الإله فقد تكرر فى «سفر الخروج» ذكر خيمة الاجتماع والمذبح المقدس كمكانين رئيسيين لتأدية الطقوس المقدسة لليهودية.

«وهذا ما تقدمه على المذبح.. رائحة سرور وقود للرب محرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب حيث أجتمع بكم لأكلمك هناك، وأجتمع هناك ببنى إسرائيل فيقدس بمجدى، وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح وهارون وبنوه أقدسهم لكى يكهنوا لى. وأسكن فى وسط بنى إسرائيل وأكون لهم إلها» «٣٥».

وهكذا تمركزت عبادة بنى إسرائيل حول خيمة الاجتماع حيث يسكن الرب ويتصل بموسى ـ أو خلفائه ـ فيما بعد.

لقد ارتبطت خيمة الاجتماع ارتباطا وثيقا بفكرة وجود الله وسط إسرائيل، وهذا ما سوف نلاحظه جليا فى إصحاحات التوراة التى تتحدث عن خيمة الاجتماع أو عن الهيكل الذى بناه سليمان، ففى حادثة من حوادث الارتداد الكثيرة لبنى إسرائيل يأمر الله موسى غاضبا أن ينصب خيمة الاجتماع خارج محلة سكن الشعب «بنى إسرائيل» المغضوب عليهم كعلامة على أن الإله لا يريد أن يسكن وسطهم «!!»

«وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيدا عن المحلة ودعاها خيمة الاجتماع، فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التى خارج المحلة، وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد فى باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة» «٣٦».

وتتوسع إصحاحات سفر الخروج فى وصف تفصيلات خيمة الاجتماع والمذبح المقدس وكل آنية مقدسة وملابس.. إلى آخر العناصر الطقسية المتعلقة بأعمال الكهانة، وتفعل ذلك بدقة شديدة تصل إلى تحديد المقاسات وأنواع الأقمشة والأخشاب والأبخرة والدهون.. إلى آخره، حيث إنها أوامر الرب ـ المباشرة ـ إلى موسى، مع أن هذه المقاسات سوف يعتريها التغيير عندما يعاد بناء الخيمة فى صورة هيكل فخم ضخم فى عهد سليمان.

وفى ارتحال بنى إسرائيل إبان عهد التيه فى سيناء كانوا يسترشدون فى سيرهم

بتابوت عهد الرب، وفى إذعانهم كانوا ينصبون خيمة الاجتماع: «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول: ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل» «٣٧».

وكما تخبرنا التوراة تولى هارون أمر الكهانة وورثه فيها ـ بأمر إلهى ـ ابنه إلعازر، وفى التوراة أن الرب يأمر إلعازر بأن يأتى ببقرة صفراء فيذبحها ويأخذ من دمها فينضح إلى جهة خيمة الاجتماع سبع مرات، ثم يتم إحراق البقرة كشريعة للتطهر من نجاسة الموت. هذه الأسطورة الطقسية التى حملها بنو إسرائيل معهم ضمن أساطير عديدة عند ارتحالهم من مصر الفرعونية.

وقبل أن يموت موسى كان قد علّم خليفته «يشوع» أن يجتمع بالرب فى خيمة الاجتماع بناء على أوامر الرب نفسه: «وقال الرب لموسى: هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت. ادع يشوع وقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه» «٣٨».

وبعد موت موسى تخبرنا التوراة أنه فى زمن استقرار بنى إسرائيل فى فلسطين وتقسيمهم للأرض التى استولوا عليها بين الأسباط حدث أن اجتمعوا فى شيلوة ونصبوا هناك خيمة للاجتماع كمركز للعبادة.. وتم تكريس مركزية العبادة والمذبح وترسيخ الكهانة فى بنى هارون والخدمة المقدسة فى سبط لاوى «اللاويين».

وبعد موت يشوع الذى ورث موسى فى قيادة بنى إسرائيل لم ينقطع اتصال الرب ببنى إسرائيل، فتخبرنا التوراة أنهم ظلوا يسألونه ويستشيرونه فى أمورهم الهامة، ولم تذكر لنا النصوص صراحة كيف كان يحدث ذلك وإن كانت تذكر فى مواضع أخرى أنهم كانوا يستخدمون ما يشبه لعبة القمار أو النرد «التميم والأوريم»

ثم هوت اليهودية فى الردة والشرك بالله ولم نعرف فى تلك الحقب التاريخية مصير خيمة الاجتماع أو تابوت العهد، ويبدو أن دورهما اختفى تماما من الحياة الدينية «تعلق اليهود بآلهة أخرى غير إله موسى» وحينما كانوا يعودون فيتذكرون إله موسى أو رب إسرائيل فى الشدائد والملمات كانوا يتصلون بهذا الرب عن طريق أحد قادتهم أو أحد المتنبئين «صارت النبوة حرفة يتم تعلمها فى إسرائيل».

لكن مع سفر صموئيل «الأول» وترتيبه التاسع فى النص العبرانى تعود خيمة الاجتماع لتظهر من جديد تلك التى سيطر على خدمتها الكهنة وانحرفوا بوظيفتها أحيانا حتى استباحوا قداستها إلى أقصى ما يسعه الخيال من فساد.

إلى أن جاء داود ملكا على إسرائيل واستقر له الأمر، فبنى لنفسه بيتا وفكر فى أن يبنى بيتا للرب ليستقر فيه وسط إسرائيل.

«وفى التوراة نرصد مجادلة «طريفة» بين داود ومساعده ناثان ـ الذى تصفه التوراة بأنه نبى ـ ويتدخل فيها الرب ليؤجل بناء البيت إلى عهد سليمان.

«وكان لما سكن الملك في بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه أن الملك قال لناثان النبى: انظر. إنى ساكن فى بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق. فقال ناثان للملك: اذهب افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك، وفى تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلا: اذهب وقل لعبدى داود. هكذا قال الرب: أأنت تبنى لى بيتا لسكناى. لأنى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير فى خيمة وفى مسكن. وفى كل ما سرت مع جميع بنى إسرائيل هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعب إسرائيل قائلا لماذا لم تبنوا لى بيتا من الأرز. والآن هكذا تقول لعبدى داود.. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته هو يبنى بيتا لاسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد» «٣٩».

إذن فالذى بنى الهيكل هو سليمان بن داود ـ سلام الله عليهما ـ أما المكان الذى أقيم فيه البناء ـ حسب العقيدة اليهودية والمسيحية ـ فمن اختيار الله حيث امتحن الله فى نفس المكان قبل ذلك بسنوات كثيرة نبيه إبراهيم عندما طلب منه أن يقدم ابنه قربانا مقدسا لكن الابن نجا من الذبح ونبى الله نجح فى الابتلاء، هذا المكان على عهد بناء الهيكل الأول كان يسمى جبل الموريا وفيما بعد سمى بجبل صهيون.

وفى السنة الرابعة لحكم سليمان التى توافق العام ٩٥٩ ق. م ابتدأ بناء الهيكل بإشراف عمال فينيقيين «لبنانيين» مهرة وتم تدشين البناء فى احتفال مهيب، ومنذ هذا

اليوم جمع بنى إسرائيل مركز للعبادة، كذلك صار الهيكل رمزا للملكية فى علاقتها بالله؛ فالكاهن الأعظم كان يعينه الملك فيصير فى الحال عضوا فى حكومته «٤٠» وكان الهيكل مقراً دائما لخزائن الملك والدولة وجميع مقتنياتها الذهبية والفضية الثمينة.. وكان أهم ما فيه بالنسبة للعالم هو رواق الأمم، فكانت أمم العالم مدعوة أن ترى وتسمع من بعيد العبادة والصلاة لله على الرغم من عدم أهمية هذا بالنسبة لإسرائيل، لكنه كان أهم ما فيه بالنسبة لله وكأن الله أقام الهيكل بواسطة اليهود ليرثه العالم «٤١».

فهل أقام إسرائيل الهيكل ليقيم فيه الله بشكل شخصى..؟! إن التأويل الإسلامى لذات الله يرفض أى شكل من أشكال الشخصنة، والتأويل المسيحى يقبل هذا فى المسيح فهو الله وهو ابن الله القادر على أن يتجسد بشرا، لكن اليهودية فى تطورها من التعددية إلى التوحيد قبلت أساطيرها الأولى كما هى وترددت ما بين قبول ورفض أسطورة شخصنة الله وليس أظهر لهذا التردد من هذا النص الذى ورد فى سفر الملوك الأول الإصحاح الثامن الذى يتساءل على لسان سليمان فيقول:

«هل يسكن الله حقا على الأرض. هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك، فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت».

وبالطبع فمسألة شخصنة الله يتم رفضها فى التأويل المتأخر لليهودية والمسيحية، بل إن بعض علماء المسيحية يقولون إن كلمة «يسكن» هى كلمة مفهومة خطأ وهى مشتقة أصلا من كلمة شاكان «Shakan» ومنها اشتقت كلمة «شاكيناه» و«سكينة»، ومعنى الأولى: حضرة الله، ومعنى الأخيرة: الهدوء والسكينة اللذان يتأتيان من «حضرة الله»، لكن هذه الشاكيناه جعلها اليهود كأنها شىء مادى له حضور مكانى، وفى هذا يقول «الربيون» إن هذه الشاكيناه «حضرة الله» بقيت ثلاث سنوات ونصفاً على جبل الزيتون تنتظر توبة إسرائيل يتردد صداها اطلبوا الرب ما دام يوجد، ادعوه فهو قريب، وعندما وجدت أن ذلك كله بلا فائدة عادت الشاكيناه إلى مقرها.

وهكذا يبدو أن الفكر الفلسفى اللاهوتى لليهودية فى طور آخر من أطواره استبدل فكرة تجسيد ذات الله بتجسيد حضرة الله.

وعلى مر العصور لم ينج هذا الهيكل - بكل قداسته المظهرية المضفاة عليه من أفكار وتصورات الربيين - من التخريب والنهب، وكانت أول غارة عليه للنهب فى أيام رحبعام بن سليمان ٩٢٢ - ٩١٥ ق. م على يد شيشق فرعون مصر كما ذكرت أخبار سفر الملوك الأول، كما نهب على يد ملوك إسرائيل أنفسهم لشراء أعوان أو دفع جزية، أما آخر غارة نهب وسلب فكانت على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق. م حيث استباح الهيكل وتم تخريبه ونهب محتوياته ونقلها مع كل المسبين من اليهود إلى بابل، لكن عند عودة المسبين مرة أخرى «ما تبقى منهم» منح كورش ملك فارس اليهود أمرا ملكيا بالبناء وأعاد لهم ما تبقى من آنية الهيكل ولكن بدون تابوت عهد الله الذى ضاع ولم يوجد له أثر. كان ذلك حوالى عام ٥٣٧ ق. م، ويعتقد اليهود الآن أن هذا التابوت موجود فى الحبشة ولهذا السبب فقد نزعوا إدارة دير السلطان من الكنيسة الأرثوذكسية المصرية وسلموها للكنيسة الحبشية وهم حريصون على استقرار هذا الوضع. وهكذا كان بناء الهيكل الثانى الذى قام بناؤه أكثر من ٥٠٠ عام إلى أن تم تخريبه على يد أنطيوخس السلوقى ملك سوريا؛ وهو انطيوخس أبيفانس «١٧٥ - ١٦٣» ق. م الذى نهب كل ذخائره وأقام فيه رجسة الخراب، أى بنى مذبحا للأوثان فى منتصف ديسمبر ١٦٧ ق. م إلى أن أعاد المكابيون تطهيره والعبادة فيه سنة ١٦٤ ق. م وقووا حصونه. وأعاد هيردوس الملك الآدومى بناء الهيكل فى ضعف حجمه الأول وزينه بالرخام الكورنثى والحجارة الثمينة والتحف سنة ١٩ ق.م.

إلى أن جاءت سنة ٧٠ ميلادية حين تقدم القائد الرومانى تيطس ليقمع ثورة اليهود وفى طريقه دخل وجنوده الهيكل فخربه وهدمه من أساساته حتى التراب، ويقول المنقبون من علماء الآثار إنه يلزم الحفر حتى ١٢٥ قدما بين أكوام الحطام حتى نصل إلى الأرضية الأصلية للمدينة «٤٣».

إن للأب متى المسكين - أحد آباء الكنيسة الأرثوذكسية - تفسيرا رائعا لضياع هندسة الهيكل واندثار آثاره إلى الدرجة التى يستحيل فيها على أعظم المهندسين

والمنقبين استرداد أى شكل من أشكاله، يقول الأب متى: «لم يكن هذا مصادفة، بل عن قصد إلهى محكم ومبيت حتى لا يكون لبيت الله شكل محدد يُستعبد له الإنسان».

لكن اليهود ليسوا مسيحيين، وبالطبع لم ولن يدركوا هذا التأويل السابق لإرادة الله فى غياب الهيكل، بل على العكس فقد ربط الأصوليون اليهود إعادة بناء الهيكل بالرضا الإلهى على عودتهم من المنفى وقيام دولتهم.

لقد صنعت الأسطورة الجمعية اليهودية مشاهد متسلسلة لسيناريو قيام مملكة إسرائيل كما يريدها رب إسرائيل، رب الجنود، أهم هذه المشاهد أو جوهرة التاج هو إعادة بناء الهيكل وعلى إثره يأتى المسيح المنتظر من نسل داود، القائد الحربى الذى يملك قوة شمشون وحكمة سليمان وإيمان داود فيعيد إلى مملكة إسرائيل المجد الضائع ويحكم شعب الله بموجب صك إلهى حكما ثيوقراطيا؛ فيرضى الرب عن أبنائه ويعود للسكنى وسطهم.

3

البعث الثانى للديناصورات

دار الخيّال

الأصولية

هل يمكن لحركة التاريخ أن تتوقف عند لحظة بعينها؟!

والسؤال بصيغة أخرى: هل يمكن أن نتصور أن الأحداث الراهنة ما هى إلا مشاهد معادة لأحداث وقعت فى ماضٍ بعيد؟!

على سبيل المثال: هل الصراع العربى ـ الإسرائيلى هو نفسه صراع بنى إسرائيل ضد القبائل الوثنية أثناء دخولهم الأول لأرض كنعان؟! وهل تشتت اليهود فى العصور الحديثة هو نفسه تيه العبرانيين فى صحراء سيناء أيام نبى الله موسى؟! أو.. هل رفض مصر توقيع معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية قبلما توقع إسرائيل هو نفسه تعنت فرعون فى إطلاق العبرانيين من أرض مصر؟!

فى إسرائيل الآن من يروج لهذه النظرية بين الكتّاب الأصوليين، حيث توقفت رؤيتهم للزمن عند معان وأحداث بعينها، واستحضروا تجربة الماضى ـ بكل تفاصيلها ـ يفسرون بها أحداث الواقع.

هذا المناخ الفكرى المتطرف فى إسرائيل ما هو إلا إفراز للأصولية الدينية اليهودية التى تستلهم أساطير العنف التوراتية المقدسة تجاه الأغيار منطلقاً لتحقيق سياسات الاحتفاظ بالأرض، وإبادة العرب، واغتيال الذين ـ حتى ـ يفكرون فى خيانة القضية، والدليل: إيجال عامير قاتل رابين.

وفى التلمود طلب الله من اليهود أن يقسموا على ألا يعودوا لفلسطين بالقوة وألا يثوروا وألا يحاولوا التعجيل بنهاية الزمن.. لكنهم يؤمنون بوصية التوراة: لا تقطع للأغيار «العرب من الأغيار» عهداً ولا تشفق عليهم!

وهؤلاء الذين يؤمنون بوصايا التوراة على هذه الصوة يسمون: [أصوليون] فما هو أصل هذه التسمية؟!

مصطلح الأصولية كما وصل إلى الشرق مترجماً عن الفرنسية Integrisme أو الإنجليزيةFundamentalism هو مصطلح ولد أساساً فى العالم المسيحى بطائفتيه الكاثوليك والبروتستانت، ثم شاع فى الآونة الأخيرة وزاد رواجه مع ترديد الإعلام الغربى له كوصف لظاهرة المد الإسلامى المتنامى رأسيا بمعنى الطرح الإسلامى فى الدول الإسلامية كبديل لفشل المشروع العلمانى فى الغرب والذى تتشبه به الدول الإسلامية ذات التطلع الحضارى.

وفى المقابل فقد رد الشرق للغرب بضاعته فتبنى مصطلحات الأصولية الإنجيلية، والأصولية اليهودية.. وحتى لا نتجاوز الأصل التاريخى للمصطلح لابد أن نشير إلى ما قاله الباحث «جيمس بار» حول مصطلح الأصولية وهو أن هذا المصطلح جاء من عنوان سلسلة نشرات أو كتيبات ظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال أعوام ١٩١٠ـ ١٩١٥ وكانت ترسل مجاناً إلى القساوسة والمبشرين واللاهوتيين ومدارس الأحد وسكرتيرى جمعيات الشبان والشابات المسيحيين، وقد استخدمت هذه السلسلة ذلك المفهوم للإشارة إلى عناصر العقيدة وألوهية المسيح ومعجزة إنجاب مريم العذراء وغيرها من الثوابت التى يراها الأصوليون فى المسيحية اليوم «٤٤».

بينما يرى آخرون أن مفهوم الأصولية يشير إلى تيار بروتستانتى ظهر فى الولايات المتحدة خلال العشرينيات من هذا القرن يصف جماعة الإنجيليين المحافظين التابعين للطوائف البروتستانتية. «٤٥».

بينما يأخذ المصطلح تعريفات شتى فى قواميس اللغة، فأحد القواميس غير العريقة يعرف المصطلح بأنه: «مذهب العصمة الحرفية: حركة عرفتها البروتستانتية فى القرن العشرين تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم عن الخطأ لا فى قضايا العقيدة والأخلاق فحسب بل أيضا فى كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب كقصة

الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدى»[٤٦].

ويأخذ تعريف المصطلح فى قاموس «لاروس» الصغير معنى محدداً جامداً على هذا النحو: «موقف أولئك الذين يرفضون تكييف أية عقيدة مع الظروف الجديدة». وطبق القاموس هذا التعريف على الكاثوليكية فى صراعها مع الحداثة منذ عهد بيوس العاشر وحتى مؤتمر الفاتيكان الثانى الذى عقد عام ١٩٦٦. كما يعرف قاموس أكسفورد كلمة FUNDAMENTALISM على النحو التالى: «التمسك الصارم بالمضامين الأرثوذكسية التقليدية وبحرفية النصوص المقدسة، معاداة الليبرالية والحداثة».

ولأن المصطلحات الرنانة تنتقل بين الثقافات المختلفة كالعدوى فقد تم تداول المصطلح وإسقاطه على الجماعات الدينية فى مختلف الأديان والبلدان، وصار لترديده صدى يحمل للسامع أو القارىء عدة صفات ارتبطت بمن يطلق عليه هذا المصطلح، من هذه الصفات كما يجملها روجيه جارودى:

الجمود ورفض التكيف وعدم التسامح والانغلاق والتحجر المذهبى والتصلب والعناد والمحافظة، والانتساب إلى التراث، والعودة إلى الماضى ومعارضة كل نمو وتطور.

إلا أن المصطلح فى تفسيراته السابقة يختزل الظواهر الدينية فى أطر جامدة حول صفات محددة تخدع السامع حين تجمع البيض كله فى سلة واحدة فيعوق هذا دراسة كل ظاهرة بمكوناتها المفردة وبأهدافها النهائية وبأساليبها فى التنفيذ، فالأصولية الإسلامية وعنوانها البارز الثورة الإيرانية لم تكن أبداً تهدف إلى ما تهدف إليه الأصولية اليهودية وعنوانها المتطرف الحاخام مائير كاهانا الذى يريد أن يبيد العرب، أو حركة جوش أمونيم التى حاولت إزالة المسجد الأقصى عن طريق تدميره لوضع حجر الأساس للهيكل الثالث، كذلك الأمر يختلف بالنسبة للأصولية المسيحية التى تحوى فى ردائها الفضفاض جماعات عديدة منها ما يهدف إلى تكوين جماعات مؤمنين حقيقيين تقاطع العادات الدنيوية وتمارس فى حياتها اليومية العقيدة أو أوامر الروح القدس، وأيضا تحوى ضمن ما تحوى البروتستانتية الإنجيلية فى معقلها الأمريكى تلك التى حملت على أجنحتها الرئيس رونالد ريجان إلى البيت الأبيض

وكان تيارها الهادر منذ منتصف السبعينيات تقريباً قد لفت نظر مجلتى التايم والنيوزويك حتى إنهما اختارتا سنة ١٩٧٦ «عاما للإنجيليين»، هذا العام الذى وعت فيه الصحافة هذه الظاهرة التى بدأت تترسخ على المسرح السياسى.

وبغض النظر عن المنطلقات الأخلاقية فى الأصوليات جميعها إلا أننا معنيون فى هذه الدراسة بالتصور العقيدى أو نظرة هذه الأصوليات للآخر وعلاقتها به وبالنهاية المحتومة للإنسانية، فمثلا العمل من أجل الله ومن أجل الخير الذى تلون به الجماعات الإنجيلية فى أمريكا عناوينها يحمل فى طياته اعتقاداً دينياً غذته السياسة وهو التمهيد لعودة المسيح الوشيكة ـ بنظرهم ـ والذى تمثل فيه قيام دولة إسرائيل وبناء الهيكل الثالث حجر الأساس وعلامة على قرب المعركة الأخيرة مع الشيطان فى جبل مجدو بفلسطين.

وهكذا يتم الاستقطاب مع الأصولية اليهودية التى تمثل الوقود الدافع للقاطرة لتتلاشى المسافات رغم الاختلاف الجذرى فى الرؤية (!!)..

الأرض الموعودة

خريطة الأصولية اليهودية خريطة معقدة تتباين ألوانها بالنسبة لدولة إسرائيل ما بين الرفض المطلق لقيامها على أساس إلهى إلى القبول المطلق لهذا الكيان السياسى على أساس إلهى أيضا، وكل الاعتقادات يتم اختزالها فى النهاية إلى خلاف ليس على دولة إسرائيل أو حدودها الجغرافية ولكن على الطريقة التى قامت بها هذه الدولة وهل كان لابد أن يضطلع بذلك «الدنيويون العلمانيون» أم يتركون الأمر للتدبير الإلهى المبنى على اعتقادات لاهوتية، حسب سيناريو محدد سلفاً أبرز مشاهده بناء الهيكل أو هبوطه من السماء ثم ظهور المسيح المنتظر.

وقبل قرنين من الآن ظهر ما يسمى باليهودية العصرية، وساد تيارها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى شكل حركة مضادة لحركات أخرى راديكالية تركزت أساساً فى جيتويات أوروبا الشرقية.

ومع ظهور هذا التيار فى اليهودية أنهى كثيرون من اليهود انتظارهم السلبى للمسيا «المسيح المنتظر»، ويقال إن المحرقة الهتلرية «الهولوكست» قد أفقدت كثيراً من اليهود صبرهم ورجاءهم وبدأوا ينظرون إلى الرسالة المسيانية كعبء، وهكذا حاولوا إيجاد تفسيرات أخرى لها وربما كان من ضمن هذه التفسيرات: النشاط الصهيونى"[٤٧]".

إن الصورة الآن للمجتمع الإسرائيلى ولرجال السياسة فيه تبدو مختلفة تماماً عن مثيلتها التى كانت موجودة قبل خمسين عاماً «تقريبا» عند تأسيس دولة إسرائيل.

فعند هذا التاريخ قامت مجموعة من الصهيونيين العلمانيين بتأسيس كيان سياسى طبقاً لأحلامهم التى اختزنوها عن مجتمع ليبرالى علمانى يشبه المجتمعات الأوروبية التى نشأوا فيها وتغذوا على ثقافاتها.

ولم يكن نبى الصهيونية هرتزل ولا رجاله الذين اضطلعوا بالمشروع الصهيونى يعيرون للدين اعتباراً، وكانت دولة إسرائيل بالنسبة لهم ضرورة اجتماعية فى المقام الأول، حلموا بها وروجوا لها مع الأدباء والشعراء الذين تولوا الدعاية للمشروع الصهيونى، فهرتزل نفسه جسد أفكاره الصهيونية فى رواية «الأرض الجديدة القديمة» قبل أن تتحول أفكاره إلى مشروع سياسى ويترك نشاطه الأدبى ليتفرغ نهائياً للعمل على إنشاء المنظمة الصهيونية "[٤٨]"، وكانت قد سبقته فى البشارة جورج أليوت فى روايتها «دانييل ديروندا».

إن فكرة إنشاء كيان سياسى يجمع اليهود دون النظر إلى العقيدة الدينية تفسر لنا قبول بعض الصهاينة لطرح ومناقشة اقتراح وطن بديل عن فلسطين فى أوغندا أو أمريكا الجنوبية أو سيناء.

ونستطيع أن نلخص نظرة الصهيونيين الأوائل لليهود واليهودية «الديانة» كالتالى: «حيث إن اليهود شعب كسائر الشعوب على غرار النموذج الأوروبى التقدمى يمكن منح كهنة الدين المكان الجدير بهم فى النطاق المحدود الذى حدده لهم هرتزل على غرار الثكنات العسكرية والتعامل معهم باحترام وأدب على النحو الذى يستشف من شريعة التقدم الغربى "[٤٩]".

هكذا كان الموقف الأساسى للصهيونية الغربية بالنسبة للدين فى إسرائيل قبل أن تصبح واقعاً، ويتضح فيه تأثر الصهيونية بالتغيرات الكبيرة التى حدثت فى أوروبا فى هذا الحين «أواخر القرن التاسع عشر» حيث تقلص دور الدين وازدادت المفاهيم العلمانية.

إن تعامل هرتزل ورفاقه مع الدين اليهودى بهذه الكيفية لابد أن يردنا فى التاريخ إلى أيام السبى البابلى «القرن الخامس قبل الميلاد»، حيث اضطلع بمشروع صهيونى مماثل رجل دين اسمه عزرا، تولى الدعوة لعودة الشعب إلى صهيون، وتواكب مع الدعوة جمعه الأساطير الدينية اليهودية فى كتاب مقدس صنع فيه تاريخاً للشعب اليهودى منذ عهد نوح وابنه سام، كذلك حاول أن يؤسس حق إلهى لليهود فى أرض فلسطين منذ عهد إبراهيم عليه السلام حتى يقنع الشعب الذى استوطن بابل واستقر فيها بالعودة المقدسة إلى فلسطين "٥٠".

ويبدو أن هرتزل استوعب ـ بوعى أو بدون وعى ـ تجربة عزرا، وعلى هذا الأساس تعاملت صهيونية العصور الحديثة العلمانية مع الديانة اليهودية على أنها «فلكلور الشعب اليهودى المقدس» الذى لا يمكن أن تخضع قيمه لأى نقاش أو تساؤل، ففكرة العهد بين الله والشعب الذى منح الخالق بمقتضاه الشعب أرض فلسطين المقدسة كانت بمثابة الأسطورة الشعبية لشخص مثل بن جوريون، استخلص منها برنامجاً سياسياً فقرر حدوداً لدولة إسرائيل مسترشداً بمفاهيم العهد القديم التى لا يؤمن بها هو نفسه لأنه كان ملحداً «!!».

وفيما بعد وجدت الصهيونية العلمانية فى بعض رجال الدين الدعم المطلوب، وعلى سبيل المثال فقد قام الحاخام الأكبر لفلسطين «أيام الانتداب البريطانى» إبرهام كوك ـ وهو حجة فى دراسة التلمود ـ بدور المنظّر والداعية للفلسفة الصهيونية الدينية وحاول توحيد الجسد والروح، البلد والإيمان بالتبشير بالوحدة بين المقدس والدنيوى.. فإذا كان هذا الحاخام ومن على شاكلته يمثلون المقدس فإن العلمانيين الذين أنشأوا الدولة يمثلون الدنيوى، وطور الحاخام كوك الفكرة التى بمقتضاها لايمكن اعتبار رواد فلسطين أشراراً لأن فضلهم فى بناء البلاد يسمو بهم.

وهكذا لبس الصهيونيون الملحدون عباءة البركة الدينية المقدسة لأنهم شاركوا دون وعى منهم فى المخطط الإلهى وأعلنوا اقتراب المجىء المرتقب للمسيح المنتظر، حيث يرى هذا الحاخام «كوك» أن فترة نفى اليهود باعدت بين الله وبينهم، أما العودة فستقربهم مرة أخرى لأن التوراة لن تتحقق كاملة إلا على أرض إسرائيل، وأرض إسرائيل فى رأيه هى جزء لا يتجزأ من التوراة «٥١».

ومن هنا جاء اتفاق الصهيونية العلمانية مع الصهيونية الدينية حول أرض إسرائيل المقدسة، ورأى القادة العلمانيون فى التوراة تعبيراً عن الروح القومية عند اليهود، بينما رأى الصهيونيون الدينيون فى العلمانية ومشروعها بداية الخلاص كما يفهمونه من نبوءاتهم، وخلقوا من الجغرافيا فكرة ميتافيزيقية تضفى على إسرائيل «الأرض» مركزية مطلقة وتسبغ قداسة على الأماكن التاريخية.

لقد عادوا إلى ذلك الجزء من التوراة الذى يتعلق بالقومية، هذا المفهوم السياسى الذى ألبسوه مسوح اللاهوت ـ منذ القديم ـ فربط بين الشعب اليهودى وأرض فلسطين وتجلى فى التسمية التوراتية «شعب الأرض» «٥٢».

حيث يمكن أن تصادف فى النصوص التوراتية عبارات من مثل: «وقتل شعب الأرض...» أو «وملك شعب الأرض» إلى آخره.

وتحولت الفكرة الدينية القومية مع الوقت إلى عقيدة تربت عليها أجيال وخرج من بين هذه الأجيال مجانين إلى حد الهوس يحملون السلاح ويتبعون خطوات الشيطان، وكان واحد من هؤلاء إيجال عامير الذى قتل رابين لأنه تشبع بمقولات مهووس آخر مثل موشيه أيسون الذى كتب فى إحدى صحف التيار الأصولى فى إسرائيل «هتسوفيه» عقب التوقيع على اتفاقيات أوسلو بين الحكومة الإسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية يقول: «لقد ذكر السيد رابين أن العهد القديم ليس بسفر لتسجيل ملكية الأرض وأن القداسة لا ترتبط بالأرض بقدر ارتباطها بالقيم، إن رابين تنازل بمنتهى السهولة عن أرض الوطن وكان حديث رابين مليئاً بكل ما يدل على تنصله من القيم الأبدية لشعب إسرائيل الذى تعد أرض إسرائيل جزءاً لا يتجزأ من ذاته».

إن قاتل رابين ما هو إلا إفراز لتقيحات نامت تحت الجلد منذ عهد موغل فى القدم أيام أن عرفت اليهودية طائفة السيكاريين، تلك الحركة اليهودية الإرهابية التى أطلق على أعضائها هذا الاسم نسبة إلى الخناجر الرومانية المسماة «السيكا» وكانوا يتسلحون بها، وفى غفلة يبقرون بها بطن من يعتقدون أنه خان القضية الوطنية اليهودية التى تتمثل فى استعادة الاستقلال وتطهير الأرض المقدسة أو «يرتز يسرائيل»«٥٣».

وببساطة فقاتل رابين هو واحد من جيل الشباب الذى يبحث لنفسه عن هوية، وقد وجد هذه الهوية فى معسكر الأرثوذكسية أو الأصولية اليهودية، فإذا كان جيل العودة إلى فلسطين ـ الذى يمثله آباء إيجال عامير أو من فى حكمهم ـ قد تخلى عن بقايا الماضى وارتضى أن يضحى بفتات من الأرض التى اغتصبها مقابل شراء الأمن، فإن جيل الشباب الباحث عن جذوره القديمة انضم إلى هؤلاء الذين تغطيهم مسوح سوداء ويرتدون على رؤوسهم قبعات عالية تتدلى منهاجدائل الشعر فوق آذانهم ولا يأكلون إلا الطعام الكاشير «الحلال حسب الشريعة اليهودية» ويرفضون الحلول الوسط، ولأنهم تربوا على الحرية فهولاء الشبان لا يحاولون إخفاء معتقداتهم.

هناك أمر آخر لا يمكن أن نغفله سمح بهذا الطرح الدينى فى إسرائيل ألا وهو فشل المشروع العلمانى للدولة، لكن إسرائيل بوضعها الخاص وجهت رأس حربة هذا النشاط الدينى إلى هدف أخير هو: مملكة إسرائيل الكبرى.

وتتضاءل خطورة هؤلاء المتطرفين اليهود فى الداخل بجانب خطورتهم عندما يتعلق الأمر بالعرب الذين يريدون استرداد أراضيهم المستوطنة «ونحن نتحدث هنا عن جماعات إرهابية ونشارك كاتباً يهودياً مثل «عمانويل هامان» الأسف. فإنه يكفى أن تعطى هؤلاء المؤمنين أرضا وأن يمسكوا سلاحاً بأيديهم حتى يتحول البعض منهم إلى أصوليين قوميين ويحاولون فرض أنفسهم بالقوة، وحيث إن موجههم هو الرب فإنهم قادرون على ارتكاب كل التجاوزات لأن الخلافات الإنسانية التافهة لا تساوى شيئاً أمام التدبير الإلهى العظيم الذى يملكون وحدهم مفاتيحه وأسراره، فالعنف جزء من تاريخ اليهودية ويكفى نظرة على إصحاحات التوراة التى تخبرنا عن الطريقة التى استولى بها اليهود على أرض فلسطين فى القديم لنكتشف أن دستور العنف لم يتغير،

وأن الزمن يعيد نـفسه تماماً مثلما يؤمـن موشيه إيسون ويروج لهذا الإيمان فـى كتاباته التى ينشرها فى صحـيفة هتسوفيه ـ التى أشرنا لها سابقاً ـ حيـث يرى أن تعاليم العهد القديم والتـلمود وشروح فقهاء الـشريعة تنطوى علـى إجابات صائبة عن كـل قضايا العصـر بدءاً من الحروب العربـية ـ الإسرائيلـية وانتهاء إلـى موقف مصر من قـضية التوقيـع على اتفاقية الحـد من انتشار الأسلحـة النووية، وهكذا يرى إيـسون أن حركة التاريخ قد توقفت عند لحظة بعينـها وما أحداث العالم المعاصر إلا امتداد للأحداث التى وقعت فى الأزمان السحيقة «!!».

حتى نفهم

الفـوازير الدينـية فى اليـهودية كثـيرة، وفى الواقـع الإسرائيلـى أكثر، ولأننـا ـ فى الغالب ـ لا نحاول أن نجهد عقولنا بالتفكير فـنحن نميل إلى قبول الكليشيهات الجاهزة والحلول البسيطة السهلة، مثل أن نردد أن هناك يهوداً يرفضون إسرائيل ونكتفى بقبول هذه المقولـة على أنها حقيقـة دون أن ندير فى رؤوسنا أدوات الاستفـهام، مَن، ولماذا، وكيف.

وحتى نفـهم فنحن نحتاج إلـى معلومات موثوق فـيها وليس عبارات إنشـائية من تلك التـى يهوى استخدامها بـعض كتابنا الذين نـصنفهم على أنهـم كبار.. أو أقوال هؤلاء الذين يتاجرون بشعارات الرفض للرفض والتخوين للتخوين و... وبقية قائمة الاتهامات سابقـة التجهيز التى تتنافـى مع أبسط قواعد الحوار العلمى وتـتفق مع نفى الآخر.

كل هذا لأنـهم لا يحبون إجـهاد عقولهـم، وحتى لا نقع فـى نفس الخطأ.. تـعالوا نحاول أن نجهد عقولنا لعلنا نفهم:

ما الأسباب التى يـؤسس عليها بعض اليهــود رفضهم لدولة إسرائيل فـى شكلها الراهن؟

كثيرون من الأغيار «وخاصة العرب» لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن إجابة لهذا السؤال، هذا إذا كانوا يعرفون هذه المعلومة أصلا، وأكثر منهم ينظرون إلى هذا الرفض على أنه شيء جيد وأن هؤلاء اليهود الرافضين قوم أخيار يريدون أن يرجعوا الحق المسلوب «فلسطين» لأصحابه.

إن سوء الفهم هذا الذى يسيطر على عقلية أصحاب القضية والمتضررين من وجود الكيان الصهيونى بهذه الكيفية، لابد أن يدفعنا للاقتراب أكثر من تفاصيل خريطة الأصولية اليهودية التى وصفناها فيما سبق بالتعقيد.

وكنا قد أشرنا فيما سبق أيضا لاسم الحاخام إبرهام كوك كعنوان على هذه الشريحة الدينية اليهودية التى تؤمن بالصهيونية العلمانية وتعتبر قيام دولة إسرائيل إشارة من الإله إلى تحقيق النبوءة وقرب الخلاص، وفى الاتجاه المضاد تقف قوى تعارض هذه الفكرة وتعتبر أن قيام دولة إسرائيل على أساس دنيوى هو عمل ضد إرادة الله.

وكلا الطرفين متشددان فى اعتقاديهما، وإن كان هذا التشدد ينصب على الجانب النظرى من القضية بمعنى أن المصالح تتفق على أرض الواقع إلى حد كبير.

يطلق على هؤلاء اليهود الدينيين المتشددين: اليهود الأرثوذكس، وهناك الآن تيار أكثر تشدداً يطلق عليه: «غلاة الأرثوذكس»، أما التسمية المتداولة فى الشارع الإسرائيلى على هؤلاء جميعا فهى «الحاريديم»، والمصطلح اسم فاعل مأخوذ من الحاريدية التى تعنى فى اللغة العبرية الخوف أو الاهتزاز وهى صفات مقصور إطلاقها على هؤلاء اليهود الذين يخشون الله.. لقد بدأ استخدام مصطلح الأرثوذكس ذى الأصل اليونانى الذى يرمز لأصحاب العقيدة المتزمتة أو القوية عندما اتهم اليهود الإصلاحيون أبناء دينهم أصحاب العقيدة التلمودية، بهذا الاتهام أو الوصف «التزمت»، وبدأ استخدام هذه الصفة لأول مرة فى الأدب الدينى اليهودى سنة ١٧٩٥، أما الآن فهذا النوع من الأدب يفرق بين الأرثوذكسية، والأرثوذكسية المتطرفة؛ حيث يطلق اللقب الأول على اليهود الدينيين الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل مثل أعضاء حزب المفدال وهو الحزب الدينى القومى، بينما يطلق

اللقب الثانى على غلاة المتدينين الـذين لا يعترفون بالصهـيونية العلمانيـة مثل حزبى أجودات إسرائيل وشاس وحركة نطورى كارتا «٥٤».

وهنـا يجب أن نـتوقف لحظـات لنشـير لتـيار دينـى آخر فى الـيهودية يـنتمـى إلى الأرثوذكسية ويسمى الحـسيدية وهو شكل من أشكال الصوفية الـيهودية الأرثوذكسية ولكـنه يختـلف عن الـيهوديـة التلـمودية فى بـعض الجوانـب التى تـتعلق بـالعقـائد وبالممارسات الدينية.

لقد مهد لظـهور الحسيدية على مسرح الحـياة الدينية اليهودية اضـطرابات شديدة حدثت فى أوساط اليهود الذين يعيشون فى الأقطار التابعة للدولة العثمانية «تركيا وما جاورهـا من بلـدان»، وكان وراء هذه الاضـطرابات شخـص يدعى «شـبتاى صـبى» حوله دارت الأحداث حوالى منتصف القرن السابع عشر.

كان شبتاى هذا صاحـب مواهب نفسانية خاصة أثرت فيه دراسـته لعلم التصوف اليهودى «القـبالة»، فكان أن تنبأ بأن سـنة الخلاص لبنى إسرائيـل هى ١٦٤٧ الميلادية، ولما كان هذا الخلاص يحتاج إلى مسيح فقد أعلن شـبتاى لتلاميذه أنه هو نفسه المسيح المنتظر، وعـندما كثر أتباعه ودخـلوا فى معركة مع باقـى يهود الدولة العثمـانية الذين أنكروه استدعاه الـسلطان العثمانى محمـد الرابع للمثول بين يديه، وفـى هذه المقابلة أعلن شبـتاى إسلامه هو وأهل بيـته وسمى نفسـه محمدا هربا من الـعقاب، وكان أن خلفت محاولـة الخلاص الفاشـلة لشبتاى جـوا من القنوط المضبب بين اليـهود استمر لأعوام طويلـة إلى أن ظهر معالج ريـفى شاب اسمه إسرائيـل بن اليعيزر أطلـق عليه مريدوه اسم «بعل شيم طوف» ومعناه السيد ذو الاسم الطيب.

هذا الشـخص «إسرائيل بـن اليعيزر» المـولود فى إحدى منـاطق أوكرانيا الـواقعة شرق أوروبـا سنة ١٦٩٨م لأسـرة فقيـرة ولم يكـمل تعـليمـه بسبـب الضيـق المادى وهروبه المتكرر من المدرسة تربى فى أوساط تنتشر فيها الصوفية اليهودية العملية التى تنادى بـالتعجـيل بمجىء المـسيح عن طـريق تعذيـب الجسد والصـوم واتباع الملائـكة ومقاومة الشياطين وطرد الأرواح الشريرة من الأجساد والتعويذات والتعزيمات.

وآمن إسرائيل بهذه المبادىء والتعاليم فى أول الأمر ثم تخلى عنها فيما بعد، لكنها على الأقل كانت قد ساهمت مع اعتزاله ووحدته الـطويلة فى الغابات المحيطة ببلدته فى تحويله إلى مايشبه الولى.

تزوج إسرائيل وهو فـى الخامسة عشرة فلما ماتت زوجـته الأولى تزوج من أخرى وعاش معـها حياة تـنقل وارتحال ـ مـضطراً ـ يتـكسب من حـفر الخنادق، وفـى تلك المرحلة من عمره مر بـتجربة التأمل الصوفى الداخلى وحل عليـه ما يشبه الوحى وهو فى السادسـة والثلاثين من عمره، فـاختلط بالنـاس وأعلن أن دعوته الحقة هـى الشفاء بالإيمان وأصبـح إسرائيل اليعـيزر طبيباً شعـبياً يعمل فى الأحـجبة والتعاويـذ واشتهر بلقـب «بعل شيم طـوف»، واستقر فى بـلدة ميد زيـبوج فى مقاطـعة بودليا بـجنوب بولندا وظل فيها حـتى وفاته سنة ١٧٦٠ وفى هذه البلدة استطاع أن يـكسب مجموعة من كبار الحاخامـين كتلامذة له، وخرجت دعوته التى عرفت باسـم الحسيدية فعرف أتباعها باسم الحسـديم ومعناها: الأتقياء أو الورعون، لم تكن الحسـيدية أو كما تسمى بالعبـرية «هحسيدوت» لاهوتـاً دينياً بقدر ما كانـت أسلوبا شاذا فى الحيـاة، قد شجع مؤسس الحركة «بعل شيم طوف» أتباعه ألا يثوروا ضد رغباتهم لكن فقط يسيطرون عليها ويوجهونها للرب [٥٥] ، وراح يبشر بين أتباعه بالمحبة بين الله والإنسان ويرسى طقوساً تعبـدية جديدة مبنية على الفـرح النابع من الغناء والرقص، فأحـيا بذلك تراثاً دينيـاً توراتياً قديمـا وبعث الحياة فـى أولئك المحنـطين فى أدابير الـكتب عاكفـين على دراسة التلمود والتوراة.

كذلك أورث «بعل شيم طوف» أتباعه تعاليم أساسية منها أنه فى عالم الروح فقط يمكن لـلإنسان أن يجد مراده حـيث يتساوى الجمـيع، وأن أى عمل من أعمـال الحياة حتى لو كان دنيوياً ـ مثل الأكل والشرب ـ يمكن اعتباره مقدساً إذا تمت تأديته فى فرح ونشوة، ومـع ضيق المجال أمام عـامة اليهود لـلدراسة فى المـدارس الدينية اسـتجاب هؤلاء إلى مـا يطلق طاقـاتهم الروحية دون جـهد كبير وذلـك فى مواجهة الـنصوص التلمودية المبهمة والمعقدة.

وفى القاعـة الحاخامية استجاب الأتـباع سريعا لسحـر التجربة الروحية الجـماعية وشعروا بروحهم تسمو من خلال عظات دينيـة صوفية بسيطة وبعض الخرافات التى تنـاسب فكـر البـسطاء والـبدائيـين وأصحاب الإيمـان الفطـرى، وعبـر طقوس مـثل الصخب والرقص العنيف والشرب والتمادى فيها معتقدين أن ذلك يحرر الروح من أغلالها، هذا مع إيمانهم بأن القوة المقـدسة تكمن فى حروف اسم الرب «يهوه» أيضا متمـسكين بعقيـدة الإيمان بالمسيح المخـلّص (مبدأ الخلاص) وانـتظاره والتأكيـد على وجود الملائكة وعبادتهم.

وهنا لا بد أن نشير إلى تلك النواة الاجتماعية الفريدة فى نوعها التى خلفتها الحسيدية وهى: الصحبة الحسيدية المتساوية، التى هى عبارة عن هرم روحانى يجلس على قمته الصدِّيق وليس الحاخام، وفى هذه الصحبة لا توجد محاولة لتقليل الفوارق الاقتصادية ولكن تأتى المساواة من الارتباط بالصديق، إن الغنى والفقير يتساويان بكونهما مرتبطين بهذا الصديق، لا يتعالى أحدهما على الآخر، وكل فرد يعرف قدره ومرتبته الروحانية حتى يتسنى له أن يتعرف على نفسه ويعيش وفقاً لذلك.

يعرف الصدِّيق بالربِّى «تمييزاً له عن الراف أو الرابى فى اليهودية التلمودية»، ويطلق على الصدّيق اليوم لقب الأدمور وهي اختصار لثلاث كلمات عبرية هي: أدونينو ، مورينو، فيرابينو، أى سيدنا وأستاذنا ومعلمنا "[٥٦]"، وهذا الصديق أو الربِّى أو الأدمور هو المرشد الروحى الذى يحتل مكانة بارزة بين أبناء طائفته، وهو يتمتع بخصال روحانية تؤهله لأن يضطلع بدور الرسول أو الوسيط بين العوالم العليا والعوالم السفلى أو بين الخالق والمخلوق.

وبتناثر الأساطير حول الصديق ورثت الحسيدية تراثاً مليئاً بقصص حياة «الصدّيقيم» العظام وقدراتهم الخارقة التى تصل إلى حد الاستطاعة فى التأثير على قرارات السماء أو تلغى أحكام الإله، حيث يتمتع الصديق بمكانة ـ عند الإله ـ تفوق مكانة الملائكة لأنه يعتبر أساس العالم.

وفى الجيل الأول للحسيدية كان الصديق يُختار على أساس قدراته الخارقة الكارزمية التى تؤهله لهذه المكانة، أيضا كان يعيش حياة تقشف وزهد، واعتباراً من الجيل الثانى والثالث أصبحت الزعامة فى الحسيدية تنتقل بالوراثة، وبدأت حياة الصديق أو الربى تتحول إلى حياة بذخ فاحش حيث يقدم الأتباع جزءاً من أموالهم يسمى الفدية حتى يعفوا الصديق من ممارسة العمل، هذه الفدية يجمعها عمال يتبعون للصديق يسمون الجباة «جبائيم» ويقومون فى نفس الوقت بالوساطة بين الصديق والحسيديم فيكتبون الرقع وهى إجابات عن الأسئلة التى يقدمها الحسيديم للربى طلباً للمشورة المادية والروحانية.

بلغت أسطورة التبجيل للصديق إلى حد أكل بقايا طعامه التى تتولد عنها شرارات روحانية، خاصة فى الوجبة الثالثة «الوليمة الثالثة» حينما يجتمع الصديق بأتباعه مساء السبت حيث يأكلون الأسماك ويجلسون فى الظلام يهللون بالأناشيد والأغانى التى

ينطلق بها الربى، لقد حلت شخصية الصديق فى الحسيدية محل العقيدة فى اليهودية التلمودية، بل إن التوراة ذاتها قد انتقلت إلى شخصية الصدّيق بحيث شاع بين الحسيديم قولهم إن حديث الصديق توراة بل أهم من معرفة التوراة.

اعتقادات كهذه كانت لابد أن تواجه بالحرب والرفض من قبل يهود آخرين، وهذا ما حدث، فقد كان على هؤلاء الحسيديين أن يواجهوا عدواً مزدوجاً على جبهتين: الأول يتكون من اليهود المتدينين، والثانى قواة دعاة التنوير والخروج من الجيتو الذين سميت حركتهم بالهسكالاه.

فقد رأى الذين يمثلون اليهودية الأرثوذكسية التقليدية ـ فى الحسيدية ـ تهديداً لسلطاتهم الدينية بل وسلطة التوراة نفسها، وكذلك للتعليم الدينى والمدارس الدينية، وسمى هؤلاء المعارضون «بالمتنجديم» الذين انتظموا تحت قيادة رابى إلياهو الفيلنائى المعروف باسم جاؤون فلينا، وهو أكبر شخصية دينية يهودية تلمودية فى العصر الحديث، وأطلق على الصراع بين الطرفين أيضا اسم الصراع الحسيدى ـ الليتوانى، نسبة إلى ليتوانيا التى انحدر منها معظم اليهود الأرثوذكس «التلموديين» والتى شهدت بداية الصراع بين الفريقين أو الصراع بين المتصوفين والتشريعيين، واحتدم هذا الصراع لمدة ٤٣ عاماً ١٧٧٢ - ١٨١٥ لكن حدته خفت اعتباراً من هذا التاريخ الأخير خلال القرن التاسع عشر على الرغم من أن دلالته مازالت مستمرة.

أما العدو الآخر للحسيدية المتمثل فى أنصار التنوير فقد رأى فى هذا المذهب رجعية وتخلفا يشدان اليهودية إلى الوراء، لكن بمرور الوقت أبرمت الحسيدية اتفاقاً مع قوى المتنجديم «الأرثوذكسية التلمودية» وصارا هما الحارسَيْن المتعصبيْن للتقاليد اليهودية ضد دعاة التنوير الذين يسمون المسكليم.

كان هذا الاتفاق بين الحاسيديم والمتنجديم هو الأساس المنطقى وراء إقامة تكتل أجودات إسرائيل عام ١٩١٢ «وهى منظمة سياسية مشتركة من الحاسيديم والتيار الأرثوذكسى التلمودى الرافض للصهيونية» بقصد محاربة الصهيونيين العلمانيين وضد تزايد حركات التنوير والتحرر فى اليهودية والتى كان يعتبرها هؤلاء الحاريديم ثمرة المذهب العقلانى المتنور فى اليهودية.

وكملاحظة سابقة لأوانها سنعرف فيما بعد أن منظمة أجودات إسرائيل التى قامت على قاعدة رفض الصهيونية وإسرائيل وسعت إلى وحدة الشعب اليهودى

والحفاظ على الأرثوذكسية وتعاليمها عندما صعدت إلى حلبة السياسة الفعلية «الانتخابات والمشاركة فى الحكومات» تحولت وعدّلت فى مواقفها فمالت إلى موقف اليمين الإسرائيلى ابتداء من حكومة مناحم بيجين المشكلة سنة ١٩٧٧.

والآن نعود مرة أخرى لحكاية الحسيدية:

فبعد وفاة «بعل شيم طوف» عام ١٧٦٠ م ورثه فى قيادة الطريقة الحاخام دوف بير المتوفى عام ١٧٧٢م، ومن خلال هذا الحاخام أو الماجيد كما يطلق عليه الأتباع انتشرت الحسيدية فى أوكرانيا وانتقلت منها إلى بولندا وروسيا البيضاء، وهكذا أصبح الكثير من تلامذة الماجيد حاخامات أو ربيين بحكم أحقيتهم الشخصية بعد وفاته، وعلى الرغم من أن بدايات المذهب الحسيدى جاءت من شرق أوروبا وبالتالى من وسط اليهود الأشكيناز فإن تعاليمها وجدت فى تربة اليهود السفارديم القادمين من الشرق ـ بتراثه الروحى الملىء بالخرافات والأساطير ـ تربة جيدة للنمو والاقتباس سواء فى الصلوات أو العادات والاحتفالات بالأولياء والقديسين، ولذلك فطقوس الصلاة والذبح تختلف بين الحسيدية واليهودية التلمودية، بل تختلف أحيانا بين طوائف الحسيديم أنفسهم.

ومع مرور الزمن حدثت تطورات فى الحسيدية، وعلى سبيل المثال فقد كانت الطريقة تجيز فى الأصل الصلاة فى أى مكان إلا أنها مع مرور الزمن طورت لنفسها أماكن عبادة خاصة بها تسمى «شتبليخ»، وظهر أول كتاب صلاة وفق الطريقة الحسيدية سنة ١٨٠٣ على يد شخص يدعى شنيور زالمان.

وبعد.. فمنذ القرن الثامن عشر انقسم تيار الحركة الحسيدية إلى العديد من التيارات الصغيرة يتجمع كل واحد منها حول أدمور يوصف بالحكمة والقدرات الخارقة، واحتفظ بعض الأدامرة ببساطة وروحانية الحركة الأولى بينما فضل آخرون الحياة الراقية وصاروا أثرياء على حساب الهبات النقدية لأتباعهم، أما هؤلاء الأتباع فيحققون ذاتهم وتميزهم عن المجتمع اليهودى العلمانى سواء داخل إسرائيل أو خارجها بالتميز فى الملبس الذى يتكون من سترة طويلة وسراويل قصيرة واسعة وأحذية غير أنيقة وعلى الرأس قبعات عالية يتدلى من أسفلها خصلات من الشعر فوق الأذنين، بينما يرتدى عمداء مدارسهم الدينية التى تسمى «اليشيفا» وحاخامات الوعظ والتبشير: الفراك وهو سترة رجالية تبلغ الركبتين ليتوانية الأصل موروثة من

عصر الملك إدوارد، ولأن الشريعة اليهودية «الهالاخا» تتطلب انفصالا تاماً بين القلب والأعضاء الجنسية فإن الحسيدي يربط حول وسطه حزاما شبيها بالحبل، لن يصلي أو يقترب من الأحبار دون أن يرتديه «هذا على الرغم من أن أساتذة الحسيدية الأوائل كانوا مولعين بالفلسفة الدينية السرية ـ القبالاة ـ وتخيلاتها الجنسية الصريحة والتي يستشهد بها في الشعر والنصوص الخفية لتمثل الاتحاد الصوفي بين الرب وإسرائيل»«٥٧».

أما أشهر الطوائف الحسيدية اليوم فهي جماعة «حبد» التي أسسها شنيور زالمان ـ المشار له آنفا ـ واسم حبد اشتقته الجماعة من الأحرف الأولى لكلمات حكمة وذكاء ومعرفة باللغة العبرية وتصف فيها الأدمور المؤسس للطائفة، أيضا تسمى جماعة «اللوبافيتش» نسبة إلى المدينة التي تأسست فيها الجماعة في روسيا البيضاء وظلت مقراً لها لمدة تقرب من مائة عام، وهذه الحركة هي الآن الأشهر من بين الجماعات الحسيدية لأنهم أصحاب صوت عال ويعملون بالسياسة وأيضا يملكون مراكز في أغلب المدن الرئيسية في العالم حيث يوجد يهود، لذلك كثير من الناس حتى اليهود يعتقدون أن الحسيدية هي فقط جماعة الليبوفيتش.

وهكذا اكتسبت الطوائف الحسيدية ـ عادة ـ أسماءها من المدن التي انتمى إليها الربّي الذي أسسها حتى ولو لم يعد الحسيديون يعيشون هناك، وكمثال فحاسيديو تشرنوبيل لم يعودوا يعيشون في مدينة تشرنوبيل التي كانت حوالي عام ١٨٨٠ مركزا كبيراً لتعليم اليهود، لكنهم مازالوا معروفين بهذا الاسم ومازالت آثار نسبهم للربي مناحم ناحوم أوف تشرنوبيل موجودة.

ويقال إنه قبل الاضطهاد الهتلري لليهود كان هناك العديد من الطوائف الحسيدية أكثر مما هو موجود اليوم، وهذه الطوائف التي كانت معروفة جيداً تم إنقاذ بعضها من هذا الاضطهاد، ومن هذه الطوائف على سبيل المثال وليس الحصر وبالترتيب الأبجدي: أمشينوفر، ألكسندر، بلزر، بوبفر، بويانير، برسلوفر، جرير، راديزنر، ساتمار، سكفرير، سلونمير، ستولينير، كارلين، كلوسينبرجر، لوبرفينشر، فينشر، «٥٨» إلى آخره.. والخلافات بين الطوائف الحسيدية خلافات طفيفة في الملبس والعقيدة وخلافات عميقة بين القيادات تصل أحياناً إلى الاتهام بالتكفير ورفض الاختلاط بالنسب أو الزواج.

وكما أن طائفة اللوبوفيتش هى أشهر طوائف الحسيديين فإن طائفة الساتمار هى أكبر الطوائف من حيث عدد الأتباع.

وحتى عام ١٩٨٨ عام وفاة حاخام الطائفة قبل الأخير تيلتباوم الذى كان عدوا لدوداً للصهيونية وإسرائيل، فإن انضمام يهود المهجر الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة لتلك الطائفة الأكثر تشدداً للحسيدية جعلها أكبر طائفة من حيث عدد الأتباع وكان تيلتباوم قبل أن يهاجر أو على الأصح يهرب قد جمع حوله فى مدينة ساتمار أشد أعداء الصهيونية.

الشيء الغريب أن الصهيونيين هم الذين أنقذوا الحاخام تيلتباوم نفسه من الموت سنة ١٩٤٤، وذلك بتهريبه من مدينة ساتمار التى خضعت للنازى بصفتها جزءاً من المجر، وذهبوا به إلى فلسطين لكنه غادرها قبل إعلان الدولة الإسرائيلية بشهور قليلة حيث هاجر إلى أمريكا واستقر فى حى ويليامسبرج ببروكلين وأنشأ مركزاً جديداً لحسيديى ساتمار.

وتيلتباوم يؤمن هو وأتباعه بوصية من ضمن ٦١٣ وصية يهودية تقول: «أنا أؤمن بمجيء المسيح فلو كنا نؤمن بخلاصه فإن هذا يقتضى أن ننتظر الحدث مهما تأخر»، بل إن هناك من حسيديى ساتمار من يدعو فى صلاته بهدم دولة إسرائيل دون إهدار دم يهودى واحد.. كيف؟!.. إنهم يتركون الأمر لله ومسيحه يتصرفا فيه كيف يشاءا.

إن دولة إسرائيل بنظر الحاخام الساتمارى الحالى موشيه تيلتباوم هدمت الدياسبورا وأحدثت مواجهة مع الإسلام.

وعلى الرغم من كثرتهم العددية فإن جماعة الساتمار تبدو أقلية بسبب عزوفها عن التبشير وسط اليهود، وفى حى ويليامسبرج ضرب الساتماريون حول أنفسهم جيتو «عزلة» روحية، وعزلة جغرافية، وهم يستخدمون العبرية فى صلواتهم وفى أثناء الدراسة فقط، أما فى حديثهم فإنهم يستخدمون تلك اللغة التى هى خليط من الألمانية والعبرية القديمة وتسمى اليديشية.

ونعود لسؤالنا الأول عن الأسباب التى يؤسس عليها بعض اليهود رفضهم لدولة إسرائيل فى شكلها الراهن.

يشرح الحاخام دانييل هامان مدير إحدى المدارس الدينية اليهودية «اليشيفا» أن سبب معارضة بعض الطوائف الأرثوذكسية، فى اليهودية للدولة بشكل مطلق يعود إلى أن كتاب المائدة المنضودة «شالحان عاروخ» وهو كتاب يحتوى على خلاصة أحكام الشريعة اليهودية يقف ضد المغامرة الصهيونية بالشكل الذى تمت به، فليس هناك مبرر على الإطلاق للدخول فى حرب ضد العرب لزرع يهودية علمانية.

ومنذ بدء تكوين الدولة فى إسرائيل فقد انقسم الصهيونيون إلى يمين ويسار، ولم يكن لليمينيين مشروع لإنشاء مجتمع وكل ما اهتموا به هو أرض إسرائيل، أما اليساريون فقد اهتموا بإنشاء دولتهم على غرار الديمقراطيات الغربية العلمانية وكذلك بالتمثيل فى الأمم المتحدة، ووقف الأرثوذكس «غير الصهيونيين» يعارضون هذين التيارين وبنظرهم لا يوجد شيء اسمه تطبيع الجالوت «المنفى» وهم يرون ـ أيضاً ـ الأمور بعيون أنبيائهم القدامى؛ فاليهود ليسوا فى الجالوت باختيارهم ولكنه عقاب الرب الذى لن يخرجوا منه، بمجرد الرغبة فى ذلك، وإن إسرائيل ما هى إلا جيتو كبير وبدلا من أن يكون اليهود تابعين لقيصر صاروا تابعين للأمريكان أو أية مرجعية أخرى «٥٩».

وتظل الكارثة النازية هى المشكلة المستعصية على الحل عند هؤلاء الأرثوذكس، إذ كيف يُفسر غياب الله وتركه لشعبه بهذه الكيفية.

إنها نفس الفكرة القديمة التى أثارها اليهود عند النفى الأول إلى بابل فتساءلوا عن غياب الله عن الأرض وعن شعبه، كذلك يتساءل الأرثوذكس كيف يمكن قبول الدولة الإسرائيلية كنتيجة لعملية الإبادة؟!

لقد وجد الأرثوذكس الإجابات عن أسئلتهم فى التاريخ التوراتى: إن الله تخلى عنهم كعقاب إلهى لمعصيتهم أوامره ومحاولتهم فرض إرادتهم الذاتية «لذلك عاقبهم بالكارثة النازية عندما شرعوا ينشئون الدولة بعيداً عن إرادة الرب».

وهكذا خان هؤلاء الصهاينة ما نص عليه مجلد «كثوفوت»، من التلمود الذى يقول إن الله طلب من العبرانيين عند ذهابهم إلى المنفى بعد هدم الهيكل الثانى أن يقسموا على ثلاثة أشياء وهى: ألا يعودوا بالقوة، وألا يثوروا ضد الأمم التى يعيشون

بين ظهـرانيها، وألا يـحاولوا التـعجيل بـنهاية الـزمن، ويحرص هـؤلاء الأرثوذكس اللاصهيونـيون عندما يتحدثون عن إسـرائيل أن يستخدموا تعبـير أرض إسرائيل ولا يستخدمون تعبيرات اليهود العلمانيين "٦٠".

لكن.. ما سبق لا يعنى أن هؤلاء الأرثوذكس الحسيديم ذوى الأصول اللتوانية غير متورطين فيمـا يحدث فى إسرائيل، ففى إسرائـيل نفسها صار هناك قنـوات للتداخل بين الأرثوذكس الـصهيونيين وغـير الصهيونيـين، فالقوميون يـقتربون أكثر فـأكثر من الأرثوذكس المـتطرفين فـى أفعالهـم وسلوكهـم، وكعلامة أخـرى على التـقارب بين القوميين والأرثوذكس توجـد حالياً فى الضفة الغربية لنهـر الأردن ثلاث مستوطنات أكبرهـا وأقدمها أنـشأها حسـيديو جور وهـم القوة المسـيطرة داخل حـزب أجودات يسرائيل، هذه المستوطنة أطلقوا عليها اسم عما نويل.

وبقيام هؤلاء «الذين كـانوا فى الأصل يرفضون إسرائيل الدولة» بـاحتلال الضفة الغـربية حتـى تبقـى إلى الأبد تحت الحـكم الإسرائـيلى يكـونوا قد قـبلوا إقامـة وطن وقوات يهودية قبـل مجىء المسيح المنتظر، إنهم قـبلوا إسرائيل كحقيقة واقـعة لكنهم يرفـضون الاعـتراف بـقيـام الأمة الـيهوديـة علـى أساس روحـى أو كمـا يقـول أحد حاخاماتهم: «إن مشكـلة الدولة مشكلة محايدة، إنها مجـرد إدارة للشأن العام، أما إذا نظرنا للأمر فى بعده الغيبى المسيانى فلا وألف لا» "٦١".

ومنذ الـبداية فقد أيـد بعض حاخامـات الحسيدية إقـامة وطن يهودى عـلى أسس دينيـة، وشجع حاخام طائـفة الجور أتباعه عـلى الهجرة إلـى فلسطين بل واشـترى هو نفسه أرضا لإقامة مدرسة دينية «يشيفـا» رافعا شعار: أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب توراة إسرائيل.

أما اللـوبافيتش أو حـسيديو حبـد فقد أسسوا قريـة حسيدية كـاملة فى كفـار حبد بفلسطين بعد الحرب الـعالمية الثانية، وعلى الرغم من أن مقر الحاخـام الأكبر للطائفة يقع فى حى بروكلين بنيويورك فقد أقام أتباعـه فى تلك القرية نموذجاً كاملاً لمقر إقامته على أمل حضوره يوما ما إلى إسرائيل، لكـن، الحاخام حتى موته رفض بعناد أن يضع قدمه على أرض فلسطين حتى لا يمنح وجودُه القداسة لدولة إسرائيل العلمانية، وهذا

الإخلاص للتقاليد الحسيدية لم يمنع الحاخام من التدخل فى بعض الصراعات السياسية فى إسرائيل مثل صراع تحديد من هو اليهودى أو الصراع الذى دار حول مصير الأرض المحتلة بعد ٦٧، فقد جعل الحاخام من الوجود اليهودى فى يهودا والسامرة مبدأ وعقيدة، ومن بروكلين كان الحاخام على استعداد للقتال حتى آخر إسرائيلى، ووجهة نظره فى ذلك حسب أقواله: «إنهم يتحدثون عن برنامج لمدة خمس سنوات لتحقيق ما يسمونه الحكم الذاتى، ولكن ليس مهما التسمية، ففى الواقع تتعارض هذه المشروعات مع الوصية الصريحة للتوراة التى تقول: لا تقطع للأغيار عهداً ولا تشفق عليهم.

لقد وجد الحاخام نفسه فى تناقض بين رغبته فى التأثير على السياسة الإسرائيلية مع التمسك بالتقاليد الحسيدية المعادية للصهيونية، وجرياً على سنة التبرير التى هى واحدة من مكونات الشخصية اليهودية فقد وجد الحاخام التبرير بادعاء أن ضرورة الاحتفاظ بالأراضى المحتلة لا تنبع من التأييد لدولة بعيدة عن طريق التوراة وإنما مجرد الرغبة فى الحفاظ على الحياة الإنسانية، لأن إرجاع هذه الأراضى «الأرض المحتلة» سوف يؤدى إلى تعريض شعب إسرائيل إلى خطر يفوق خطر الاحتفاظ بها.

يقول عمانويل هامان صاحب كتاب الأصولية اليهودية وهو بالمناسبة يهودى علمانى:

«هناك سوء فهم كبير بشأن الهوية اليهودية، ففى الشتات تعتبر هذه الهوية انتماء دينياً وكثيرا ما يكون هذا الانتماء وهمياً، أما فى إسرائيل فإنها بعد توقف لمدة ألفى عام تستعيد حقيقتها العبرانية المستمدة من انتماء قومى، فاليهود تحولوا إلى عبرانيين فى إسرائيل بفضل الحركة الصهيونية».

العقيدة والسياسة

عندما تسيطر الأفكار الشريرة على عقل الإنسان، ويقف على حافة الجنون تظل فيه بقية من إنسانية ربما تمنعه فى اللحظة الأخيرة من ارتكاب الجريمة، لكنه عندما يهوى

إلى جُب الخطيئة يكون قد انتقل من الأفكار إلى الأفعال (الشريرة)، وتكون مساحة الإنسانية قد انطمست تماماً فى قلبه وتحول إلى حيوان لا يرى إلا فريسته.

ولأن هذا الحيوان ـ للأسف ـ يملك عقلا فسوف يجد لأفعاله ألف مبرر، وسوف يتقمص حالة الرضا وراحة الضمير إذا كانت تلك المبررات مقدسة، وبالطبع سوف تكون تلك القداسة من اختراع عقل آخر مريض.

وما سبق ليس فلسفة لكنه وصف مختصر لشرح مطول سيرد فى السطور التالية.

لقد تنامت الحركة الأصولية اليهودية فى مدى جغرافى متنوع، وفى بلدان وثقافات يبلغ الاختلاف بينها الاختلاف ما بين بلدان مثل الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل.

وأصبحت الظاهرة بادية للعيان فى أواسط السبعينيات يؤطر العنف نشاطها، وتعلن عنها أعراض، بعضها تمثل فى إنشاء حركات مسلحة مثل جماعة جوش أمونيم التى تكونت عام ١٩٧٤، أو فتح المعاهد التلمودية الكبرى «اليشفوت» فى القدس من أجل التائبين الذين عادوا إلى الإيمان، أو فى وصول التحالف الدينى المحافظ الذى قاده مناحم بيجين إلى السلطة فى انتخابات ١٩٧٧، ثم فى انتقال قدامى المناضلين الذين اشتهروا فى منتصف الستينيات بالثقافة المضادة (اليسارية) إلى صفوف الأرثوذكسية اليهودية.

إن هؤلاء التائبين (حسب نظرة المجتمع الدينى فى إسرائيل لهم)عثروا على جذورهم الروحانية الوليدة فى علاقتهم مع إرادة الرب، وليس فى العلاقة مع ذاته التى يجدونها مستحيلة، وإرادة الرب هذه يبحثون عنها فى تلك النصوص المقدسة التى تفرض نظاماً صارماً للحياة.

والميتسفوت أو أوامر الرب التى تميز وتصف حياة الأصولى اليهودى تتمثل فى ثلاثة مبادىء اجتماعية أساسية هى: حفظ السبت (الشابات)، وقواعد الطعام الحلال (كيشروط) وطهارة العائلة أو القواعد الجنسية (تاهاروت هاميشباشا)، هذا علاوة على ٦١٣ وصية أخرى.

فالعقيدة والسياسة يستوليان على عقلية الأصولى اليهودى بشكل كبير الآن، وعلى الرغم من أن الشريعة اليهودية (الهالاخاة) جامدة، فإن اليهودى لاتستعصى عليه الحيلة لتطويع تلك الشريعة لمتطلبات حياته الحديثة ويجد المبررات لذلك بكل سهولة، فالتلمود نفسه يحمل هذا التحايل فى بعض تفسيراته.

فمثلاً هناك مصاعد السبت، تلك المصاعد التى يتم ضبطها قبل يوم السبت لتقف فى كل دور أو دورين، أيضاً يتحايلون على مسألة تحريم حمل الأشياء فى أيديهم بحيل عديدة، وعلى سبيل المثال فإنهم يضعون مفاتيح أبوابهم الخارجية فى أحزمتهم أو فى مشبك رابطة العنق وهم بذلك يرتدونها ولا يحملونها (منتهى التحايل)!!

أما قواعد الحشمة بالنسبة للنساء فتتضمن حظراً صريحاً لأى تعبير بدنى أو صوتى عن العاطفة بين الزوج والزوجة فى المجتمع الحاريدى، فالإمساك بالأيدى أو حتى اللمسة الحانية للذراع ممنوعة أمام الغرباء خشية تهييج الأفكار الفاسقة التى يمكن بدورها أن تؤدى إلى انطلاق شهوانى للحيوانات المنوية التى تعد إثماً ونكبة روحية ميتافيزيقية طبقا للقبلانية أو المعارف السرية الدينية"٦٢".. هذا مع ملاحظة أن هناك تصورات جنسية عديدة تدخل فى صميم طقوس العبادة فى القبلانية تلك.

والمثير للدهشة أن هناك حدثين متناقضين تماماً هما اللذان هزا جذور الأصولية اليهودية وساهما فى صعودها، الحدث الأول يتعلق بنصر عسكرى خاطف على العرب سنة ١٩٦٧، والحدث المناقض له هو هزيمة معنوية وعسكرية هائلة فى أكتوبر سنة ١٩٧٣.

لقد وضعت حرب الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ تحت سيطرة إسرائيل الأماكن الأكثر أهمية فى الجغرافية التوراتية، ومهدت لإعادة تحديد الحدود الإيديولوجية بين دولة إسرائيل وأرض إسرائيل، فكانت بذلك دفعة قوية لتصاعد المجموعات والأحزاب الدينية، فالضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان باتت محتلة، وتجسدت رمزية العودة إلى الأرض المقدسة، فإذا كان النصر قد تحقق على يد جنود دولة علمانية فإن السيطرة على أرض إسرائيل كما يراها التوراتيون سمحت بانبعاث جديد للقيم الدينية التى كانت قد غيبتها القومية الصهيونية.

وهكذا بدت حرب الأيام الستة وكأنها لحظة الانتقال فى العملية التى تنقل الإسرائيلى إلى يهودى أو (المواطنة) الإسرائيلية إلى اليهودية (الديانة).

ولم يدرك المراقبون وقتها حجم هذا الانتقال على الرغم من الإشارات العديدة التى دلت عليه مثل صور المظليين الإسرائيليين بلباسهم العسكرى وهم يبكون أمام حائط المبكى الذى تم الاستيلاء عليه، أو صورة بن جوريون وهو يصلى أمام نفس الحائط وعلى رأسه الطاقية اليهودية، أو تصريح موشى ديان وزير الدفاع آنذاك حيث قال: «كل من لم يكن متدينا صار اليوم كذلك».. لقد أدت تلك الحرب ضمن ما أدت إلى تغيير الصهيونية الدينية لمواقعها من الائتلاف مع حزب العمل (ممثل الصهيونية الرئيسى) إلى تشكيل الائتلاف مع أنصار فكر العنف (فكر جابوتنسكى) بيجين وشامير وغيرهما، وهم ممثلو اليمين الصهيونى المتطرف.

وبعد احتلال الضفة الغربية وغزة الذى تم فى هذه الحرب أيضاً اعتبر الحاريديم أن الاستيلاء على هذه الأراضى هو بمثابة إشارة ربانية على بداية الخلاص المسيانى، وفى الأوساط الدينية غير الصهيونية مثل الحسيدية، انطلق زعيم حسيدبى حبد (اللوبافيتش) الحاخام مناحم شنيورسون الملقب بالحاخام ميلوفافيتش ليؤكد أن دولة إسرائيل ككيان صهيونى هى تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله، ولذلك فهى بالتأكيد ليست تعبيرا عن الخلاص، لكن من ناحية أخرى فإن أرض إسرائيل تحت السيادة اليهودية تنطوى على مغاز دينية ذات أهمية؛ ولذلك تدعو الحركة (حبد) إلى عدم التنازل عن أى من الأراضى التى احتلت فى هذا العام (١٩٦٧) وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية.

لقد كان هذا التيار الدينى المعادى للصهيونية قد اعتمد فى رفضه لقدسية إسرائيل على الفارق بين (أرض إسرائيل) الدينية و (دولة إسرائيل) السياسية، وهو ما يمثل قيمة مهمة فى التقاليد الدينية اليهودية، ولكن بعد احتلال عام ١٩٦٧ زال هذا الفارق عملياً وأصبح هناك شبه تطابق بين دولة إسرائيل بمفهومها العلمانى السياسى وأرض إسرائيل بمفهومها الدينى، فوقعت الحجة القديمة فى مأزق، ووجد لها أصحاب التيار الرافض للدولة حلا فى اقتراب أتباعهم بالتدريج من الأوساط اليمينية المتطرفة فى إسرائيل ومن (حركة إسرائيل الكاملة) كما كانت تلك الأوساط تطلق على نفسها.

وعلى الرغم من استمرار لا صهيونية هذا التيار - على الجانب النظرى - فإن تحول أرض إسرائيل إلى قيمة دينية - فى نظره - جعله يقترب كثيرا من مواقف حركات أصولية يهودية متطرفة أخرى مثل حركة جوش أمونيم.

أما الحدث الثانى نقيض الانتصار فهو هزيمة حرب يوم الغفران أو حرب يوم كيبور ١٩٧٣ وما خلفته من جروح نفسية وبيلة لدى الإسرائيليين؛ تلك التى تمت ترجمتها سريعاً جداً فى ظهور حركات إعادة تهويد كانت قد وضعت قواعدها المذهبية فى نهاية سنوات الستينيات.

لقد وضعت - حركات إعادة التهويد تلك - المؤسسات العمالية الحاكمة فى إسرائيل منذ إنشاء الدولة سنة ١٩٤٨ فى موضع إعادة نظر، وصاغت تلك الحركات رؤية للمستقبل تتجاوز الصهيونية العلمانية الدنيوية لتحل فكرة أرض إسرائيل التوراتية محل فكرة دولة إسرائيل"٦٣".

ففى فبراير ١٩٧٤ اجتمع فريق من تلامذة الحاخام إبرهام كوك جنوبى بيت لحم على الطريق الذى يربط القدس بالخليل فى كفر أتصيون وأنشأوا منظمة أطلقوا عليها اسم (جوش أمونيم) أى كتلة الإيمان، تلك الكتلة التى تحمل الرؤية التى أشرنا لها سابقاً عن أرض إسرائيل والتى لا تقبل طبيعتها التنازل عن شبر أرض لأنها - فى رأيهم - يهودية إلى الأزل، ولكى تتوصل إلى غاياتها تلك، فإن جوش أمونيم التزمت سياسة معاودة تهويد (من فوق) بإنشاء مستوطنات سكنية فى الأراضى المحتلة لتخلق بها أوضاع أمر واقع وتهدف للضغط على السلطة.. ومنتهاها هو تحويل إسرائيل إلى دولة تحكمها الهالاخاه (الشريعة اليهودية) تلك التى تفضى بالتدريج إلى الافتداء.

لم تصطدم جماعة جوش أمونيم بسلطة الدولة العلمانية؛ لأنها ورثت أفكار معلمها ومنظرها الحاخام كوك الذى تبلورت بفضل أفكاره ولأول مرة فلسفة شاملة للصهيونية وعمل هو بنفسه على نشر هذه الأفكار وترجمتها إلى واقع عملى عبر تأسيسه عام ١٩٢٤ مدرسة «مركاز هراف» الدينية الصهيونية والتى تخرج فيها آلاف من الدعاة الصهاينة - الدينيين - وعلى رأسهم زعماء حركة جوش أمونيم "٦٤".

لقد رأى هؤلاء «مثل معلمهم» فى الدولة الأداة اللاواعية لمشيئة المسيح المخلّص، وعملوا على الإسراع بطفرتها - لاتدمير هذه الأداة - وصولا لإنشاء مملكة إسرائيل.

وجوش أمونيم لم تشارك فى النظام السياسى الإسرائيلى لأنها لم تشكل حزبا سياسياً قط، لكن بعض أعضائها وصلوا للبرلمان بعد انتخابهم على لوائح تنظيمية قريبة منها لأنها تفضل أن يكون نشاطها عملياً وموجها لاستيطان الأراضى المحتلة، وهى بهذا تكون متعددة الوجوه والأنشطة، فهى تجمُّع لليمينيين المتطرفين الأصوليين.. وهى منظمة سرية.. وهى جمعية دينية.. وجمعية مساعدة.. وهى لوبى دفاع عن المصالح.

ومنذ تكوين جوش أمونيم وهى صاحبة سجل فى أعمال العنف، ففى يونيو من عام ١٩٨٠ تم عن طريقها تفخيخ سيارات كل من رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة ورئيس بلدية رام الله كريم خلف وأصيب الاثنان بجروح خطيرة، وبرر الذين نفذوا العملية من أعضاء الحركة فعلتهم بأنهم يعبرون عن إرادة المجتمع الإسرائيلى الشعبية، وأفلت المنفذون من العقاب فتزايدت أعمال الإرهاب خاصة عام ١٩٨٣ فى أعقاب التوتر الذى تولد مع الغزو الإسرائيلى للبنان، ففى هجوم على جامعة الخليل الإسلامية وقع ثلاثة قتلى وبضع عشرات من الجرحى، وفى بداية عام ١٩٨٤ تم التحضير لمذبحة بوضع عبوات ناسفة فى أربع حافلات عربية كانت ستنفجر فى لحظات الازدحام القصوى لكن المخابرات الإسرائيلية أبطلت العملية بضبط الإرهابيين وهم يثبتون العبوات فى أهدافها.

إن قبر جولد شتاين الذى قتل ٢٩ عربياً فى ساحة الأنبياء فى الخليل قد أصبح مزاراً فى مستوطنة كريات أربع التى تسيطر عليها جماعة الإيمان، وصار القاتل بطلا فى نظر الصهاينة المتطرفين بل أكثر بطولة من إيجال عامير قاتل رابين، على الرغم من أن الصهيونية الدينية هى التى أنجبت القاتلين.

وجوش أمونيم موزعة اليوم على هيئة لجان متفرقة ـ بعد حلها ـ فى مستوطنات الأراضى المحتلة، وعلى الرغم من أن أعضاءها قد استراحوا لفوز اليمين الإسرائيلى فى انتخابات الكنيست الأخيرة المتتالية إلا أنهم لا يتخلون عن الحذر ويعلنون دائماً أنهم سيقاومون بشدة إجلاء المستوطنات، ولو صار هذا الخطر (الإجلاء) حقيقياً فسوف يعبئون من خمسين إلى ستين ألف شخص خلال ٢٤ ساعة وجميعهم مسلحون ومدربون على إطلاق النار فى صفوف الجيش الإسرائيلى!!.

وجه آخر للأصولية اليهودية!

«الكيبا» أو الطاقية الصغيرة المشغولة بالإبرة؛ تلك التى توضع أعلى الرأس ليست المظهر الوحيد للأصوليين الصهاينة.

فأهم من المظهر أفكار هذا الأصولى القومى الذى فرخته حضانة مدارس اليشيفا (والتسمية الأخيرة فى معناها العبرى الحرفى تعنى: جلوس، لكنها تطلق اصطلاحا على المؤسسات التعليمية المتخصصة فى الدراسات التهودية ويدرس بها من يرغبون فى العمل بمثابة حاخامات». «٦٥» وهناك حضّانات أخرى تتوافر فى أحياء الأصوليين فى القدس أو فى قلب تل أبيب حيث المناطق المغلقة على لابسى السواد.

فى هذه الأماكن يجتذب التعصب بنظرته التبسيطية اتجاه الشباب فاقد الاتجاه بسهولة حيث وجدت يهودية هذه الأيام فى الأرثوذكسية ما تصورت أنه هويتها المفقودة... ولنا أن نتخيل طلبة اليشفوت (اليشيفا) فى صوامعهم المغلقة ـ هؤلاء الذين تضاعف عددهم ثلاثين مرة خلال الخمسين سنة الأخيرة ـ منكفئين على أوراقهم المقدسة يبحثون عن صيغة قصوى لتأويل النصوص، هذا التأويل الذى يجرهم إلى أسئلة جوهرية من عينة ما إذا كان حلالا أكل بيضة باضتها دجاجة يوم سبت أو انطباق الشروط الحلال (الكاشير) على طبق من السلاطة تختفى بين أوراقه بعض ديدان الأرض (!!) «٦٦».

أما هؤلاء الذين يرتدون الكيبا فى إسرائيل فقد كان من السهل على من يراهم أن يخمن أنهم قسيسون يعملون فى مجال مدنى أو فى الجيش لكن هذا المظهر لم يعد يقتصر اليوم على القسيسين، فقد شاع بين الأطباء والمحامين والمحاسبين وحتى جنرالات ومارشالات الجيش الإسرائيلى.

إن حدوث هذه الظاهرة بهذه الكيفية يحير كثيرا من المفكرين الاجتماعيين تماماً مثلما يحيرهم ذلك التوافق الزمنى لظاهرة المد الأصولى فى العوالم اليهودية والمسيحية والإسلامية، فقد شهدت سنوات السبعينيات انبعاث الأصوليات فى

الديانات الإبراهيمية الثلاث، وإن اختلفت التوجهات والأساليب فى كل ديانة عن الأخرى.

فإذا استبعدنا الأصولية المسيحية حيث يتسع رداؤها بحيث يصعب حصر منطلقاتها الأساسية وأهدافها الأخيرة ببساطة، وهى عموماً خارج نطاق دراستنا إلا فيما يتعلق بخصوص المحاولات اليهودية لاستقطابها أو إشارات التقارب وفتح قنوات الحوار مع المؤسسات الدينية الإسلامية، تبقى المقارنة محصورة بين الأصوليتين اليهودية والإسلامية، تلك المقارنة التى لابد ستوضح فروقاً جوهرية سواء فى الممارسات أو فى المعتقدات والتوجهات وهما الأبقى والأكثر تأثيرا على الفرد والجماعة.

وبعيدا عن أدوات التجميل المقدسة التى يحسن اليهود استخدامها فى تجميل وجه أصوليتهم، فإن عقيدة ونشاط الأصولية اليهودية موجه ضد الأغيار كهدف نهائى، تلك العقيدة الموروثة عن الأساطير التلمودية التوراتية والمنظومات الشعبية التى برزت فى التراث اليهودى الدينى ويتم تداولها الآن فى الأوساط الثقافية اليهودية على سبيل «الموضة».

لقد بذلت المؤسسات الدينية اليهودية قصارى جهدها خاصة فى العصر الحديث لتحجب مصادر دينية عبرية وثقافية عن غير اليهود، لكنه أحياناً ما يخرج واحد من بين الصفوف مثل إسرائيل شاحاك،، وهو فيلسوف اجتماعى يهودى حاول دائماً أن يبحث عما اعتقد أنه الحق، ولأن ما بحث عنه شاحاك لابد أن يتصادم مع اليهود واليهودية فقد ظل شاحاك - حتى موته - دائماً مرفوضاً ملعوناً حتى من كثير من العقلانيين والعلمانيين اليهود.

لقد شغلت قضية نظرة اليهودية للأغيار حيزاً كبيرا من تفكير وكتابات شاحاك الذى قدر له أن يعيش فى مستوطنة للمتدينين اليهود فى صباه، فاكتسب بذلك انطباعات مباشرة عنهم من خلال تطبيقاتهم اليومية للشريعة التى يؤمنون بها، كذلك توافر لشاحاك الاطلاع على مصادر عبرية مدونة محدودة التداول فاخترق بذلك

قشرة الزيف التى لا تخفى فى الحقيقة عنصرية اليهودية والقسوة المفرطة فى نظرتها للأغيار، ويورد شاحاك أمثلة على محاولات علماء اليهود المحدثين فيما أشرنا له من تجميل وجه الأصولية اليهودية عن طريق الخداع، فيتحدث مثلاً عن الأصولية بوصفها «صورة منحطة للصوفية اليهودية» وإنها حركة حية ولديها مئات الآلاف من الأتباع الذين يكرسون أنفسهم لحاخاماتهم المقدسين، وقد أحرز بعض من هؤلاء الحاخامات نفوذا سياسياً كبيرا فى إسرائيل.

وكدليل على أقواله يورد شاحاك أمثلة من كتاب «حاتانيا» وهو الكتاب الأصولى الشهير لحركة لوبافيتش - المشار لها آنفا - وهى أشهر وأنشط الطوائف الحسيدية، فماذا جاء فى «حاتانيا» الذى يترجم أفكار اللوبافيتش؟! جاء الآتى:

«كل غير اليهود مخلوقات شيطانية ليس بداخلها أى شىء جيد على الإطلاق حتى الجنين غير اليهودى يختلف نوعيا عن الجنين اليهودى، كما أن وجود غير اليهودى مسألة «غير جوهرية» فى الكون فقد نشأ كل الخلق من أجل اليهود فقط» (!!).

هذا الكتاب الذى نقل لنا شاحاك منه المقطع السابق متداول بطبعات لا تعد ولا تحصى، ويجرى ترويج أفكاره عبر منشورات الحاخامية من لوبافيتش عبر نطاق واسع فى إسرائيل بين أوساط الجمهور وفى المدارس والجيش.

وتفيد شهادة شالوميت آلونى عضو الكنيست أن دعاية اللوبافيتش زادت بصورة ملحوظة قبل الاجتياح الإسرائيلى للبنان فى سنة ١٩٨٢، وذلك لحث الأطباء العسكريين والممرضين على عدم تقديم الإسعافات الطبية للجرحى الأغيار، ولم تشر هذه النصيحة النازية (الوصف لشاحاك) إلى العرب أو الفلسطينيين بصفة محددة، بل أشارت ببساطة إلى الأغيار «جوييم».

وعند شاحاك نجد تفسيرا لما تلقاه هذه الطائفة (الحسيدية) وحاخاماتها من التأييد العلنى والمستتر من جانب كثير من الشخصيات السياسية ليس فى إسرائيل وحسب، ولكن فى أمريكا أيضا، يقول شاحاك:

«المسألة ترجع بقدر كبير للمعالجة الماكرة والمضللة من جانب معظم المثقفين الذين

كتبوا عن الحركة الحسيدية، خاصة أولئك الذين يكتبون عنها بالإنجليزية فهم يتكتمون على الأدلة الصارخة فى النصوص الحسيدية القديمة، وكذلك الملابسات السياسية التى أعقبتها فيما بعد، والتى تبرز أمام أعين حتى القارىء العادى للصحافة العبرية الإسرائيلية، التى ينشر على صفحاتها حاخام لوبافيتش وزعماء حسيديون آخرون أكثر التصريحات المتعطشة للدماء ضراوة، وكذلك التعاليم المعادية لكل العرب».

وكمثال صارخ على هؤلاء (المجمّلين) لوجه الحسيدية القبيح يطرح شاحاك اسم مارتن بوبر ذائع الصيت فى هذا المجال، كذلك يطرح اسم عالم الدراسات التوراتية يحزقيل كوفمان المدافع عن الإبادة الجماعية وفق النموذج المذكور فى سفر يشوع.. هذا السفر الملىء بأخبار الإبادة الجماعية والتنكيل بأعداء إسرائيل أثناء زحفهم نحو كنعان، وإرادة الأفعال دائماً منسوبة للرب، وسوف تجد عبارات متواترة عبر السفر من مثل: وضرب بحد السيف، وحرق كل نفس بها، لم يبق شارد... إلى آخر هذه العبارات.

ويورد ـ أيضاً ـ شاحاك اسم الفيلسوف هجو صموئيل برجمان الذى اشتهر بالمثالية رغم أنه دعا فى أوائل هذا القرن لطرد جميع الفلسطينيين إلى العراق (!!) وغير هؤلاء كثيرون من أصحاب المظاهر الخارجية الحمائمية الذين وظفوا مبادىء فكرية يمكن استغلالها بأكثر المعانى المعادية للعرب تطرفاً، واستهوتهم جميعاً الصوفية الدينية التى تشجع التضليل، ويضيف شاحاك: «لم يعد ثمة مجال للشك بأن أعمال القمع المرعبة فى الضفة الغربية يحركها التعصب الدينى اليهودى» «٦٧».

أما التفسير الأصولى للإسلام حتى فى أقصى درجات تطرفه فلا يضع الآخر مرمى أو هدفا، ولا يشعر تجاهه بأفضلية على الإطلاق فى قضية الخلق، فالخلق من نفس واحدة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ «٦٨» صدق الله العظيم، وهذا المعنى تكرر فى القرآن باطراد، والأفضلية فقط فى قضية الإيمان هذه الصفة التى لم ينفها القرآن بإطلاق عن أهل الكتاب «اليهود من أهل الكتاب» فقال تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾«٦٩» صدق الله العظيم، أكثر من هذا فالإسلام لم يحتكر الجنة للمسلمين

فقط، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾"٧٠" صدق الله العظيم، حتى ولو احتج البعض بأن هذه الآية قد نسختها آية أخرى فى سورة آل عمران فى قوله تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾"٧١" صدق الله العظيم، فقد فسر بعض علماء المسلمين أن النسخ لم يقع وأن الآية الأخيرة تخص من ثبت على إيمانه من المؤمنين بنبى الإسلام محمد ﷺ "٧٢".

فالشريعة الإسلامية تنظر للآخر نظرة محايدة تماماً لا يشوبها العنصرية أو التفرقة على أساس إثنى.

فإذا كان تطبيق الشريعة هو الهدف النهائى للأصولية الإسلامية من أجل تكوين مجتمع مثالى فإن تطبيق الشريعة اليهودية فى السعى اليهودى الأصولى - حتى وإن بدا ذا منطلقات أخلاقية - إلا أنه يسعى فى النهاية لخلق مجتمع مهيأ لغرض أسطورى يعلو فيه العنصر اليهودى (على أساس عرقى ودينى) فوق كل الأعراق والأديان الأخرى فى مملكة إسرائيل السماوية على الأرض.

وعودة إلى الأساطير المقدسة التى ولدت العنف تجاه الأغيار نرى أن شروح وتفسيرات التوراة، أى لاهوتيات الحاريديم، قد تسربت لأعضاء جماعة جوش أمونيم، تلك التفسيرات التى تساوى بين الفلسطينيين وبين (الأماليكات) والأشخاص السبعة الذين عاشوا أيام النبى موسى سلام الله عليه، وكتب الإسرائيليات المأخوذة عن التوراة ترى أنه يجب قتل هؤلاء الأماليكات، مع أن هناك شروحاً أخرى للتوراة نفسها ترى أنه يمكن الإبقاء عليهم أحياء إذا قبلوا العيش كعبيد«!!»

يقول مؤيدو وزعماء جوش أمونيم إن كيفية معاملة الفلسطينيين تتعلق حسب الشريعة اليهودية بمقدار قوة اليهود، فإذا كانت لديهم قوة كافية فإن الواجب الدينى يقتضى طرد الفلسطينيين، بل هناك شر أشد وطأة من ذلك نشأ من الشرائع القديمة المعادية للكنعانيين القدامى، والشعوب الأخرى التى عاشت فى فلسطين قبل غزو يشوع بن نون، وكذلك ضد قبائل العماليق، هذا الشر يتمثل فى القول بأنه يجب إبادة

جميع تلك الشعوب، ويكرر التلمود والأدب التلمودى الدعوات التحريضية للإبادة الجماعية بعنف أشد، وسوف نعرف لاحقا أن للجماعات المتطرفة مثل جوش أمونيم أو لحاخامات التطرف مثل كاهانا أنصار فى صفوف الجيش الإسرائيلى هؤلاء الأنصار الذين يماثلون بين الفلسطينيين أو العرب عموماً، وتلك الشعوب القديمة وتصبح وصية مثل تلك التى وردت فى سفر التثنية ٦٠: ١٦ وتقول: «لن تترك حيا أى شىء يتنفس» لها علاقة وثيقة بالأحداث الجارية «٧٣».

كاهانا حى.. لم يمت!

ومن جوش أمونيم إلى كاهانا أو الحاخام مائير كاهانا، ذلك اليهودى الأمريكى الذى أنشأ عام ١٩٦٨ عصبة الدفاع اليهودية، تلك الجماعة التى بدأت نشاطها فى الرد على اعتداءات السود فى أمريكا ثم تحول نشاطها فى السبعينيات إلى قضية يهودية أهم وهى الدفاع عن يهود الاتحاد السوفيتى رافضين الأشكال المتحفظة للاحتجاج مثل الاجتماعات والمظاهرات ومتبعين أسلوب الإرهاب المنظم مثل التشويش على العروض الفنية الآتية من الشرق وإلقاء القنابل الحارقة على سيارات الدبلوماسيين، وتخريب الأماكن واحتلال المكاتب.

وفى أوائل السبعينيات دفعت الصهيونية مؤسس الجماعة إلى ترك الولايات المتحدة والهجرة إلى إسرائيل لتبنى العمل على إقامة دولة دينية فى القدس، وهناك أنشأ فرعا لعصبة الدفاع اليهودية ثم تحول الفرع إلى حزب سياسى ولكنه لم يدخل الكنيسست إلا فى انتخابات ١٩٨٤، ومنذ هذا التاريخ بدأ الهوس «الكاهانى» ضد العرب، فقد قدم هذا المهووس بالنقاء العنصرى قوانين تقضى بطرد غير اليهود من القدس، ومنع الزيجات المختلطة، وسجن من يمارسون علاقات أطلق عليها (بين-جنسية) بين يهود وعرب، وقد لاحظ مراقبون كثيرون التطابق التام بين النازية والكاهانية، ولو أن الأخيرة منشأها أصولية دينية ليس لمجرد أن حاخام هو الذى اضطلع بإنشائها وإنما لأن نظرياتها كانت ترجع باستمرار لقوانين الهالاخاه أى

الشريعة اليهودية، وهى قوانين دُفعت إلى حدودها القصوى «٧٤»، وعلى أساس التفسير لهذه القوانين بهذه الطريقة أعُتبر أن كل عربى هو عدو لدولة إسرائيل ثم استشهد الحاخام بالتوراة ليعلن:

«إذا قام أحدهم ليقتلك فاقتله أنت أولا».

وهذا الحاخام الذى اعتبر الاتصالات بين اليهود والعرب شيئا كريها، ولم يكتف بالكلمات بل شجع قتل الفلسطينيين وعلق على جريمة قتل عربى قائلاً:

«إن هذا لا يعد اغتيالا بل مجرد قتل عربى»!

ولم ينتُخب مائير كاهانا ـ بعد دورة الكنيست التى بدأت سنة ٨٤ ـ مرة أخرى. فلقد حكمت المحكمة العليا فى إسرائيل بعدم شرعية حزب كاهانا المسمى (كاخ)، فصاح كاهانا فى وجه هذا الحكم: «إن غير الأنقياء قد استبعدوا الأنقياء»!! وفى الولايات المتحدة أعلن كاهانا آخر صيحاته بأنه سوف ينشىء حزبا جديدا ويحضر خططا عظيمة لإنشاء دولة مستقلة فى يهوذا والسامرة (الضفة وغزة)، ثم اغتيل كاهانا بيد شخص عربى كرد فعل مضاد، فالتطرف لابد أن يقابل بمثله.

وبعد موت الأب تبنى الابن بنيامين كاهانا أفكار أبيه وحمل رايته بتأسيس حركة (كاهانا حى) الأشد عنفا، وتغيرت أهداف الكاهانية منذ هذا الحين فلم يعد هناك جماعات يهودية مضطهدة فى أمريكا لذلك انتقل نشاطهم إلى إسرائيل، ووضعوا على لوحة التنشين الخاصة بهم أنصار عملية السلام كهدف لرصاصاتهم سواء أكانوا من العرب أو من اليهود، وبدافع من تصريحات زعيم (كاهانا حى) المملوء حقداً قام أفراد من هذه الجماعة بتفجير قنبلة يدوية فى الحى العربى فى القدس القديمة فقتلت واحدا وجرحت ثمانية.

لقد تحول الكاهانيون السابقون بعد موت زعيمهم لدراسة النصوص واستخدامها سلاحا للأصولية، وهم يسيرون فى طريق أكثر تشددا ولديهم ميراث من كاهانا يستخدمونه بنفس العبارات مثل: الحق الإلهى، والإرث الذى لا يمكن التنازل عنه، والوجود الأجنبى غير المحتمل، ويجدون فى التوراة صدى يستشهدون به على عباراتهم تلك.

وعلى الرغم من حظر السلطات الإسرائيلية لنشاط جماعتى كاخ وكاهانا حى إلا أن أعضاءهما كانوا ومازالوا يزاولون نشاطهم بحرية أمام السلطات دون أن تمنعهم. إلى حد أنهم قاموا باستعراض للقوة فى الكنيست اتسم بعدم الاكتراث حيث حلوا ضيوفا على أجنحة اليمين المتطرف بالبرلمان فى دورة انعقاده قبل الأخيرة «٧٥».

•••

أما كلمة (بيتار) فهى اختصار للحروف الأولى العبرية لكلمات: اتحاد الشبيبة على اسم يوسف ترامبلدور، وهذا الأخير ـ لمن لا يعرفه ـ هو زعيم صهيونى قُتل عام ١٩٢٠ أثناء حربه من أجل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وشبيبة حركة بيتار التى تحمل اسمه نشأت على الأيديولوجية الفاشية التى كان يؤمن بها الزعيم المقتول، هذه الشبيبة التى تنجذب الآن نحو الصهيونية المتطرفة، وتتخذ من يوسف ترامبلدور ـ أحد رّواد الفكر العنيف ـ رمزا.

ولقد سبقت نشأة بيتار ونشاطها قيام الدولة الإسرائيلية نفسها، وفيها تكّون أبرز عناصر اليمين الإسرائيلى، فخرج من بين صفوفها شخص مثل مناحم بيجين وأيديولوچيتها كانت تلهم آخر السلالة بنيامين نتانياهو، وحتى الثمانينيات كان النشاط الرئيسى لبيتار موجهاً ضد معاداة السامية، أما اليوم فشباب هذه الحركة فى البلدان الأوروبية يتدرب على القتال ضد الفاشية والنازيين الجدد، وفى نفس الوقت تدافع بيتار عن التيار اليمينى الصهيونى لأنهما يؤمنان بهدف مشترك واحد هو الدفاع عن كيان دولة إسرائيل، ويرون أن أعداء اليهود جميعاً هم: منظمة التحرير الفلسطينية والعرب والاتحاد السوفييتى المعادى للصهيونية والسامية (!!).

ومنذ عام ١٩٩٣ تركز نشاط بيتار حول معارضة العملية السلمية وحكومة اليسار وإحياء المجتمع الذى بعثره، الرومان فى أنحاء العالم.

إن المتدينين غير الصهيونيين يبقون فى بلاد هجرتهم، أما المتدينون الصهيونيون فإنهم يكونون كوادر تهاجر إلى فلسطين، ولا يختلف هؤلاء عن أولئك إلا حول التفاصيل لكن كليهما يتبنى الأفكار الدينية التقليدية، ومصطلحات الدين اليهودى

بعد تفريغها من أى التزام خلقى مع تأكيد بعدها العرقى، ولإنجاز هـذا الهدف فقد أعاد المتدينون صياغة الشريعة اليهودية على نحو يتماشى مع الاستيطان اليهودى.

•••

.. و«مورشتى» كلمة عبرية معناها: تراثى، وخلف الكلمة تكمن فكرة بعث الحضارة اليهودية القديمة (حضارة الملك سليمان)، هذه الفكرة التى أغرت البعض على تأسيس جماعة بنفس الاسم (مورشتى)، وهذه الجماعة ليست مستعدة لطرد العرب (الغزاة أحفاد الاستعماريين برأيهم) وحسب ولكنها أيضاً مستعدة لخوض حرب أيديولوچية ضد السكان اليهود إذا فكروا فى مغادرة المستعمرات فى الأرض المحتلة.

وغير ما سبق هناك أمثلة كثيرة ، فالدين اليهودى يفرخ جماعات صغيرة أخرى ليست إلا تعبيراً عن يأس الصهيونيين، وفى ملف تلك الجماعات سوف تقابلنا أسماء مثل: إيال أو جمعية سيف داود، وأيضاً سوف تقابلنا شخصيات تشبه كهانا، فهذا رحبعام محارب البالماخ والجنرال السابق فى الجيش وعضو حزب موليدتى (الوطن)، يعتمد فى حملاته الانتخابية برنامجاً يدعو لنقل السكان الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى البلاد العربية وهو ما يطلق عليه (الترانسفير)!

صـــدام الأصـــولـــيـــات

4

دفع التاريخ إلى حافـــة النهايـــة

دار الخيّـــال

المسيح المخلص قادم من أمريكا!

من المنزل رقم سبعمائة وسبعة الكائن في حي كراون هايتس ببروكلين في الولايات المتحدة الأمريكية نبدأ هذه الحكاية الغريبة!

منذ خمسة عقود تقريباً أو عند سنة المنتصف من القرن العشرين تولى الأدمور السابع لحركة حبد الحسيدية (وتذكر عزيزي القارىء أن [حبد هي نفسها حركة اللوبافيتش] واسمه مناحم مندل شنيورسون زعامة الطائفة، وهذا الأدمور الذي بدأ حياته العلمية خارج المدارس الدينية تعلم في جامعتي برلين والسربون وعمل مهندساً مدنيا قبل أن يتوفى والده في الأربعينيات، ويضطر إلى إدارة مدرسته الدينية بدلا عنه.

وتزوج الشاب مناحم شنيورسون من ابنة الأدمور السادس للحركة الحاخام يوسف إسحق الذي لم ينجب ذكورا، وحسب الأنظمة المعمول بها في هذه الحركة تنتقل قيادة الطائفة (الأدمورية) إلى صهر الأدمور في حالة وفاته، وعدم إنجابه للذكور، وهذا ما حدث مع شنيورسون فتغير مجرى حياته بصورة كلية، عندما صار حاخاما للطائفة يدير إمبراطورية حبد بحزم شديد حيث يصل الليل بالنهار في عمل دائب، ولم يغادر بروكلين حتى ولا ليوم واحد، ولا تتجاوز ساعات نومه ثلاث أو أربع ساعات على أكثر تقدير، ويحيط به حوالي خمسة وعشرين ألفا من أتباعه

بصورة دائمة، وتفرض عليه أعباء زعامته لهذه الحركة اتخاذ مئات القرارات المهمة أسبوعيا، تلك المتعلقة بتعيين المديرين، وتنظيم ميزانيات المؤسسات المختلفة التابعة للحركة والتى تقدر بمئات الملايين من الدولارات.

أيضا يتلقى الأدمور عشرات التقارير الأسبوعية من جميع مؤسسات حبد التربوية والثقافية والاجتماعية والصناعية، وقد عُرف عنه تفرده فى اتخاذ القرارات حيث لا يستشير أحداً قط، ويعتمد فى كثير من قراراته على ذاكرته القوية «٧٦».

وما سبق وصف مختصر لسيرة حياة شنيورسون الاجتماعية والعملية، لكن هناك بعدا آخر هو الذى يهمنا فى هذه الحكاية وهو أفكار الحاخام وعقيدته وتأثيره على أتباعه.

لقد بدأ الحاخام من موقعه فى أمريكا لعبة محاولاته فى التأثير على السياسة فى دولة إسرائيل، حيث يوجد العديد من أتباع الحركة وهم على اتصال دائم وبطرق شتى بزعيمهم الروحى، حتى صاروا يمثلون كارتا مهماً فى لعبة القمار التى تسمى الانتخابات، وصار الحاخام وأتباعه جماعة ضغط ضمن جماعات عديدة تؤثر على القرار السياسى فى إسرائيل.

لكن الحاخام وقع فى مأزق عندما ظهر أن هناك تناقضا بين فكره المعادى للصهيونية، وبين محاولات التأثير فى السياسة الإسرائيلية، ولذلك حرف القضية بادعاء أن دعوته للاحتفاظ بالأراضى التى أحتلُت عقب حرب ٦٧ ليس له علاقة من قريب أو بعيد بتأييد دولة إسرائيل العلمانية البعيدة عن التوراة، وإنما مجرد رغبة فى الحفاظ على الحياة الإنسانية، ففى رأى الحاخام يؤدى إرجاع هذه الأراضى إلى تعريض شعب إسرائيل لخطر يفوق خطر الاحتفاظ بها.. ليس هذا فقط ولكن تعدى الأمر إلى الأقوال والأفعال التحريضية لاستعجال النهاية أو كأن الحاخام صار أداة لدفع التاريخ إلى الحافة.

وبدأت اللعبة بالأقوال..

فقد أسفر اجتماع عقده الحاخام شنيورسون فى مقره الدائم ببروكلين، وذلك فى شهر أبريل من سنة ١٩٦٨ مع الحاخامين الرئيسيين لطائفتى اليهود الأشكناز

والسفارديم (الغـربيين والشرقيين) عن بيـان صيغت عباراته، وكأنـه أمر إلهى من الله سبحانه وتعالى يقـول فيه بأن المسيح المخلص قد تباطأ وتلكأ بما فـيه الكفاية، وعليه أن يحضر من الزمن الغائب فى التو واللحظة ليجمع شتات اليهود، ويعود بهم إلى جبل الرب «جبل المـكبر فى القدس» ليـحطم أعداء إسرائيـل ويتخذ أورشليم عـاصمة له ويعيد بـناء هيكل سليمـان الذى ستستقر فيـه ذات الرب (يهوه) ويحكم العـالم كله بالتلمود والتوراة «٧٧».

ومـع الانخـراط فى لـعبـة السـياسـة، ومحـاولـة إيجـاد تأثـير قـوى لحركـة حبـد «اللوبافيتش» فى إسرائيل، أخذت الحركة اتجاها يـبشر بعودة المسيح «المنتظر» القريبة، ونصّب أتباع الحركـة أنفسهم جنوداً لجيش المسـيح العظيـم حتى تساهـم جهودهم فى الإسراع بمجىء مخلّص الإنسانية.

وانطلق الحاسـيديون لابسو السواد فى نـيويورك ولندن وباريس ومدريـد وجنيف يغزون أحياء الـيهود، ويدفعون الناس إلى العـودة إلى الدين مما سيسرع بتـحقق لحظة الرؤيـا السـامية، ومـن مقـره فى بـروكلين أخـذ الحاخـام شنيـورسون يـوجه جـنوده ويلهمهم، ومن أنحاء العالم جاء إلى الحاخام أتـباعه طلباً للإرشاد والنصيحة، والتفت حوله الـقبعات الـسوداء وتحول الأدمور (حـاخام الطائـفة) إلى شخـصية أسطـورية، وسرعان ما انـتشرت القصص الـعجيبة التى تـشير جميعـها فى النهايـة إلى أن أصبح الرب فوق الحاخام «٧٨».

ومع أوائل التسعينيات بدت الحكاية مثل كتـلة الجليد التى يزداد حجمها وسرعتها فى اندفاعها إلى أسفل، إذ لم يعد يكفى انتظار مسيح حسب الأحلام، ولكن بدأ أتباع الحاخام شنيورسون يعطونه شكلا واسمـا، ووصلت لحظة الانفجار داخل الطائفة إلى ذروتها فـى ربيع سنة ١٩٩١ عنـدما أعلن الأدمور (شنـيورسون) إلى الحاسيـديين أنه أخفق فى جهوده للإسراع بالظهور، وإن ذلك راجع إلـيهم لكن الأتباع لم يقبلوا هذا الأمر، وتوالت احتجاجاتـهم العنيفة التى وصلت إلى مقر الحـاخام من أنحاء شتى فى العالم، ليعود الحـاخـام ويقول بأنه كان يعنى أن مجىء المسيح يحـتاج إلى جهد مشترك من جانبهم كلـهم، ويجب أن يحاولوا بشدة لإقناع السماء بـأن الوقت قد حان لقدوم المسيح «٧٩».

وربما كان الحاخام في أقواله تلك يمهد للقنبلة التي فجرها فيما بعد أو يقيس ردود أفعال أتباعه، وعلى كل فقد بدت هناك نغمة متصاعدة وخطاب مدروس بعناية عن علامات معينة يفهمها جيداً المهاويس والمتطرفون من مثل أن الحاخام شنيورسون يمثل الجيل السابع بعد مؤسس حركة اللوبافيتش، وأن الجيل السابع كان دائماً الجيل المفضل في تاريخ اليهودية، بل أيضاً أعلن الحاخام بنفسه أنه قد جاء ليعيد وجود الله على الأرض بصفة نهائية ويحقق الخلاص، بل أكثر من ذلك حدث في شهر فبراير ١٩٩٢، عندما ألمح الرابي بتلميحات مركزة دون أن ينطق بكلمة (أنا) إلى أن شخصا اسمه مناحم والحروف الأولى من اسمه (ممش) (مناحم مندل شنيورسون) ورئيس جيل لوفافيتش ربما كان هو المسيح الذي يترقب الجميع مجيئه، وكدليل على التعبيرات المسيحانية التي قصدها الرابي ظهر ذلك الكتيب الغريب الذي نُشر وجاء فيه أن هيكل أورشليم سوف يظهر في البداية في «كراون هايتس» في بلاط اللوفافيتش حيث يقيم الرابي، وبعد ذلك فقط سوف يطير إلى مقره في جبل المكبر بالقدس «٨٠».

ومرت سنتان ونصف وهذه المسرحية الهزلية قائمة، حيث يتحدث الحاخام كل سبت بخلاف الأعياد هذا الحديث المسياني، بينما يزداد هوس الأتباع الذين يرون خيالهم يتجسد حقيقة تتحدث أمامهم، وفجأة وبينما الزابي يزور مقبرة حماه (الرابي السابق للطائفة) تلك التي تقع في بلدة كويتر بنيويورك سيتي أصيب شنيورسون بجلطة في المخ ودخل في غيبوبة طويلة حتى توفى في شهر يوليو من عام ١٩٩٤، لكن أثناء غيبوبته الأخيرة تلك وقبل وفاته أصدر القائمون على إدارة الطائفة بعض النشرات ذكروا فيها أن غياب الأدمور هو مجرد مرحلة مهمة في الطريق لتجلى الملك أو المسيح المنتظر «٨١».

مات المسيح المخلّص إذن.. لقد دفعت هذه النهاية المفاجئة ببعض أتباعه إلى الرعب واليأس، وعلى الرغم من أن الأسطورة سقطت جزئيا إلا أنها قسمت حركة اللوبافيتش فقسم من الأتباع لا يزال ـ ربما إلى اليوم ـ ينتظر قيام الحاخام من الموت قريبا، وقسم آخر واقعي يتحدث لغة أكثر اتزانا ويستشهد بما قاله ابن ميمون عن شخص المسيح الذي لابد أن تتوافر فيه صفات معينة (كان الحاخام تتوافر فيه بعض

هذه الصفات) مثل أنه من نسل داود وأنه كرس حياته من أجل اليهودية، ودفع الناس إلى التمسك بتعاليم التوراة، وخاض حروبا روحية من أجل الله وحقق انتصارات.

لكن ابن ميمون أكـد أيضاً على شروط أخرى لم تنطبق عـلى أيام الحاخام وهى أن المسيح لن يظهر قبـل أن يجتمع كل الشعب «اليهود» فى فلسطين ويـعيد بناء الهيكل الثالث.

ومن حسن طـالع البشرية أنه لـم تتحـقق هـذه النبـوءات الأخيـرة مع الحـاخام شنيورسـون، ومن حسن الطالـع أيضا أن الطوائف الـدينية لليـهودية (طبعا عـدا أتباع الحاخام) نـظرت إلى ادعاءات شـنيورسون باستخفاف وشىء مـن البغضـاء حتى أن حسيديو ساتمار وصفوا الأمر بأنه ضرب من الجنـون والهوس، بينما علق البروفيسور يشعـياهو لايبـوفيتش أحـد رجال الفكـر فى إسرائيـل أن الرابى إما مـريضا نفسياً أو محـتالا يزرع آمـالا كاذبة فـى قلوب الجمـاهير، لأن الإيمـان بأيام المسيح أدت دائـماً للإبادة، بينما شن الحاخام شاخ الزعيم الروحى لحزب ديجل هاتورا هجوما عنيفا على شنيورسـون وازدادت حدة الصراع بينهمـا حتى وصل إلى الحرمان الـدينى، وذاعت نكتة قالها شاخ عن حركة حبد (اللوبافيتش)، عندما سأله أحد طلبة الياشيفا عن أقرب الديانات إلى اليهودية فأجابه الأخير ساخرا: «إنها حركة حبد».

لقد تطوع أتباع حبد وربطوا الأحداث اليومية التى نعيشها بمجىء المسيح المخلّص واتخذوها دلـيلا على ذلك مثـل سقوط الشيوعيـة وعودة الشباب إلى الـدين والركود الاقتصادى والدماء الملوثة بالإيدز إلى آخره.. ووجد هؤلاء الأتباع فى التلمود ما يشير إلى هذه الأحداث التى تقع أمام أعيننا كل يوم (!!).

لكى لا نفاجأ ذات صباح!

كل الأحداث دلائل تشير إلى نهاية واحدة سواء عـلى المستوى الشعبى أو المستوى الرسمى لدولة إسرائيل، فتلك الرغبة فى أن تتـحول دولة إسرائيل العلمانية إلى مملكة اليهود الدينية تتـأجج وتشتعل يوما بعد يوم، وإلا فبماذا نفسـر وجود أكاديمية تلمودية

فى القدس تؤهل طلبتها لأن يصيروا كهنة لهم فى المستقبل وظيفة محددة إن قُدر لهم أن يؤدوها فى حياتهم وهى الخدمة فى الهيكل الكبير عند بنائه (!!) بينما هناك حاخامات عاكفون الآن على دراسة نصوص التوراة بكل دقة لاستخراج أدق التفاصيل عن كيفية أداء الطقوس الإلهية التى كانت تُمارس فى مملكة إسرائيل منذ ٣ آلاف عام بما تحوى من أساطير كشفت الصحافة الإسرائيلية عن بعضها مؤخراً مثل أسطورة البقرة الحمراء التى يجرى البحث عنها لغرض محدد متعلق بالطقوس الدينية اليهودية.

وعلى بعد خطوات من حائط المبكى أقيم متحف صغير لعرض أدوات العبادة على الجماهير، فالحكومة تساهم بشكل رسمى فى الإسراع بتحقيق الأسطورة وعلى سبيل التدليل على القول السابق يصرح مثلا الحاخام مناحم ما كوفر الأمين العام لمتحف أدوات العبادة: «على الناس أن يقوموا ببناء الهيكل وهى إحدى الوصايا الإلهية فلا يجب أن ننتظر معجزة إلهية» «٨٢».. والذى يصرح بمثل هذا الكلام هو شخص ليس عنده أدنى شك فى أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة سوف يُدمران ليقام مكانهما الهيكل الجديد حيث أقام النبى سليمان قديما مركز العبادة العبرانية (هكذا يقولون).

إن محاولات نسف المسجد الأقصى لم تتوقف منذ أكثر من خمسين عاماً، وقبل أن يسيطر اليهود على كامل المدينة المقدسة بأكثر من تسعة عشر عاماً وقعت أولى هذه المحاولات يوم السبت الموافق السادس عشر من يوليو عام ١٩٤٨ عندما قام يهوشع زيتلر قائد منظمة لاحى بمحاولة لتفجير كل الجوامع على جبل المكبر، أو جبل الموريا كما هو معروف فى التراث اليهودى.

وبدأت المحاولة عندما اتفق زيتلر مع ثلاثة من رفاقه على تنفيذ العملية التى سوف تحقق ـ برأيه ـ انتهاء الشتات أو النفى اليهودى، وحمل كل واحد منهم (زيتلر ورفاقه) برميلا مليئا بالمتفجرات من مادة تى إن تى، ولم يكن أحد يعرف نيتهم ولا حتى إسحاق شامير أحد قادة المنظمة البارزين ـ وقتذاك ـ وتمت عملية التفجير بالفعل لكن لخطأ غير معروف ـ وقع أثناء التنفيذ ـ لم يترك الانفجار من أثر سوى بقعة سوداء على السور الخارجى للمسجد «٨٣».

وبعد حرب ١٩٦٧ استولى الإسرائيليون على كامل مدينة القدس بعد أن كانت قوات المملكة الهاشمية الأردنية تحتل الجزء القديم من المدينة، وبذلك دخلت الأماكن المقدسة الإسلامية تحت إدارة إسرائيل.

وكان موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى آنذاك يعلم جيداً مكانة تلك الأماكن فى وجدان المسلمين فى جميع أنحاء العالم، وأن أمرها لا يخص العرب فقط، لذلك كان حريصا بشدة على مقاومة أية نزعة تخريبية تجاه تلك الأماكن الإسلامية المقدسة بالمدينة، لكن الأمر لم يسلم تماماً من قبل أصحاب العقول التى تسيطر عليها الأسطورة، وبسبب ذلك بدأت المناوشات بين حاخامات الأرثوذكسية ومن يتبعهم من مهاويس الدين اليهودى ضد المسئولين والشيوخ المسلمين من رجال الوقف الإسلامى المسئولين عن حرم المنطقة، وكان الشىء الذى يقف دائماً حيال تلك المحاولات ويحمى الأماكن المقدسة من الأفكار التخريبية هو الخوف الإسرائيلى من ردة فعل العالم الإسلامى الذى تتمكن من نفسه قداسة هذه الأماكن إلى درجة كبيرة بالإضافة إلى الأسطورة اليهودية التى تمنع تدنيس تلك الأماكن المقدسة حيث يعتقدون أنه يوجد أسفلها فى باطن الأرض فى مكان ما قدس الأقداس، وحيث إنهم لا يعرفون هذا المكان على وجه التحديد فقد حرموا على أنفسهم وطأ المكان كله(!!) ولم يأخذوا بالتخمينات التى تقول إن المذبح وقدس الأقداس يقعان تحت قبة الصخرة مباشرة.

وتلى المحاولة الأولى للتدمير محاولة أخرى لحرق المسجد الأقصى تمت فصولها فجر يوم ٢١ أغسطس من عام ١٩٦٩ حينما اندلعت النيران بفعل فاعل داخل المسجد وأتت على الجزء الجنوبى الشرقى، أيضاً قضت النيران على منبر المسجد الذى صنع فى عهد صلاح الدين الأيوبى، وللدهشة فالذى نفذ هذه العملية ليس يهودياً وإنما أصولى أنجيلى ينتمى لكنيسة بروتستانتية تسمى مجمع الرب «٨٤». وتؤمن بالتفسير الحرفى لسفر الرؤيا، ومن أجل ذلك اعتقد الذى نفذ العملية أنه بفعلته سوف يعجل بالخلاص عن طريق إعادة بناء الهيكل (بعد إزالة الأماكن المقدسة الإسلامية) وقدوم المسيح المخلّص.

أما الحاخامات فقد كان لبعضهم رأى آخر بالنسبة للأماكن المقدسة الإسلامية، وعلى سبيل المثال فقد دأب الحاخام جورن الذى ترأس طائفة اليهود الغربيين من

منتصف الستينيات إلى الثمانينيات والحاخام مردوخاى إلياهو الحاخام الأعلى للطائفة الشرقية منذ عام ١٩٧٥ على فرض أمر واقع (بكل الطرق) يؤدى إلى السيطرة على الأماكن الإسلامية المقدسة ونزعها من سلطة رجال الأوقاف الإسلاميين لوضعها تحت قبضة السلطة الإسرائيلية كاملة تمهيداً لتطهيرها من الذين يرونهم أنجاساً وهم غير اليهود (*) (يقصدون المسلمين) ثم إزالة المبانى التى عليها خاصة مساجد الأقصى والعمرى وقبة الصخرة.

وعلى مستوى الحركات السرية هناك نشاط آخر لبعض الجماعات لتحقيق نفس الهدف مثل حركة جبل الرب التى كانت من أوائل الحركات التى عملت على تغيير الأوضاع فى مدينة القدس «٨٥» تلك الحركة التى بدأت نشاطها فى مجال العقيدة الدينية ثم تحولت فى مرحلة تالية إلى مجال العمل السياسى، وبدأ الاندماج بينها وبين حركة جوش أمونيم المتطرفة ـ أيضاً ـ فى منتصف الثمانينيات.

لقد بدأ العمل الفعلى لتلك الحركات عندما تعاونت فى تنظيم مسيرة فى شهر يونيه من عام ١٩٧٦ ضمت عشرات الآلاف من اليهود، وذلك لإظهار سيطرتهم على جبل المكبر (جبل الرب)، هذه المسيرة التى سجلت مؤشرات جديدة فى عمل المنظمات اليهودية الساعية للسيطرة على هذا الجبل منها ارتفاع عدد المشاركين من الجمهور الإسرائيلى، وظهور توجه جديد داخل حركة جوش أمونيم ـ نفسها ـ تلك التى كانت ترفض العمل المشترك مع منظمات يصفها الرأى العام بأنها هامشية ضالة مثل حركة كاخ وأمناء الجبل، فقد توحدت كل تلك الحركات الساعية للسيطرة على جبل المكبر واتخذت خطا سياسيا واضحا للسيطرة على كل شبر فى مدينة القدس«٨٦».

أما أخطر المحاولات لتدمير الأماكن الإسلامية الواقعة على جبل المكبر فهى تلك التى تم الكشف عنها عام ١٩٨٠ وينتمى الأفراد المنفذون لها إلى جماعة جوش

* فى فاتحة الكتاب (القرآن) ذكر للمغضوب عليهم وقال علماء التفسير أنهم اليهود، وهذا لا يتعارض إطلاقا مع رؤية الأنبياء الأوائل والأخر الذين بعثوا فيهم، فهذه أسفار التوراة الأولى تصفهم بأنهم شعب متمرد، وأيضاً نبوءات الأنبياء الأخر تخبرهم بلعن الله ونزول غضبه وسخطه عليهم بسبب عصيانهم وزيغهم وضلالهم فى الأرض.

أمونيم، وكان التفكيـر فى تلك المحاولة التخريبية قد بدأ عندمـا شعر أعضاء الجماعة بخيبة أمل فـى حكومة مناحم بيجين التـى أبرمت اتفاقية كامب ديفيـد، وبمقتضاها تم الجلاء عن المستوطـنات الإسرائيلية فى سينـاء، وهنا بدأت الجماعة فى التفـكير بعمل مدوى يـرد علـى خيـانة رئـيس وزرائـهم (بيـجين) مـن جهـة، ويوقـف الانسـحاب الإسرائيلى من سيناء من جهة أخرى.

كان القـادة الرئيسـيون فى العـملية هـم يهودا بن عـتصيون، وهـو حاخام ومعـلم وقضى فـترة تجنيـده فى سلاح المهـندسين الإسرائـيلى، ويشـوعا بن شوشـان، ضابط احتياط فى جيش الدفاع الإسرائيلى، ومنـاحم لبى رجل أعمال ومـهندس سيارات، ويعقوب هنمان طيار حربى فى الاحتياط.

فى البداية سعى أعضاء الحركة فى مناشدة تأيـيد الحاخامات الصريح للعملية ولم يطلع أى من هؤلاء الحاخامات ـ الذين عرفوا بنية المخربين ـ أجهزة الأمن الإسرائيلى على هـذه المعلومـات، وأخلوا مسـئوليتـهم بالتـذرع بأنهم لـم يعرفوا المـوعد المحدد للتنفيذ.

ووضعت الخطـة بأسلوب الخطط الحربـية للجيوش، حـيث تم فيها مناقـشة أفكار عديدة مثل التدميـر بنصب مدفع على أحد المرتفعات أو الاستيـلاء على طائرة حربية محملة بالـقنابل والهجوم على المساجـد الإسلامية، لكن تأجلت هذه الأفـكار لتسقط المجموعـة فى عملية أخـرى كانت تهدف إلـى تفجير عـدة أتوبيسات عامـة فى وقت الذروة فى مدينة القدس وقُبض فيها على عـتصيون وسبعة وعشرين آخرين، واضطر الأول للكشف عن عملـية تفجير المسجد من أجل الحصول على الحصـانة القانونية ثم أرشد إلى ترسانة الأسلحة الرهيبة التى تـم إخفاؤهـا فى مناطق متفرقة استعدادا لتنفيذ خطة تدمير المساجد.

لقد اعتمـد عتصيون ـ المنفذ الأول فى العـملية ـ على أفكار شخـص آخر يسمى شبتاى بن دوف الذى كان قد ألف بحثا فى إيجاد محفز لدينامية الافتداء، وكأنه يريد أن يسـرع بالزمن لـيستـحضر إرادة الإله حـتى لو اقـتضى الأمـر الاصطدام بالـدولة الصهيونيـة.

تقابل عتصيون مع بن دوف واقتنع الأول بعد كلامه مع الأخير بأن تنظيف باحة المعبد مما يعتبرونه رجساً (الأماكن الإسلامية المقدسة) هو ذلك المحفز المطلوب، ويقال أن بن دوف قد وافق قبل وفاته التى حدثت عام ١٩٧٩ على هذه المبادرة، ولو قُدر لهذه العملية أن تسير إلى نهايتها، فلربما أفضى ذلك إلى حرب عالمية ثالثة كما قال بذلك بعض خبراء مركز هارفارد للشئون الدولية.

إن حركة جوش أمونيم هى شكل آخر أو الوجه الثانى للعملة الرديئة التى يمثل وجهها الأول حاخام حبد، هؤلاء المتطرفون الذين لا يريدون تعريض نقائهم الأيديولوجى للابتذال باللعب المباشر فى حلبة السياسة مثلما فعل حزب المفدال (الحزب الدينى القديم) مثلا، لكنهم يلتفون بطرق أخرى لممارسة هذا التأثير ويحرصون على ذلك، وينجحون فيما يريدون الحصول عليه بقدر بالغ من المهارة بعيدا عن التورط فى شرور التحالفات والتسويات الائتلافية.

نحب أن نلفت النظر أيضاً إلى أنه علاوة على ما سبق فهناك جمعيات أخرى تعمل فى اتجاهات أخرى عديدة لكنها فى النهاية تدعم العمل المسيانى، مثل جمعية إعادة القدس، التى يديرها د. جوزيف فريجير الذى يؤمن بحماس بدوره كحارس للتقاليد ومنقذ للمدينة، ويشترك بحماس فى كل المظاهرات فى نيويورك ضد اتفاقيات السلام وفيها يطلق اللعنات ضد التخلى عن أية قطعة من الأراضى المقدسة يهوذا أو السامرة، ويشرح السبب فى أنه جعل من القدس محور نشاطه فيردد:

«إن القدس هى مركز الكون وكل الأشياء تشع من القدس، والقدس هى أيضاً القلب منا ونحن نريد إنقاذ القلب أى إنقاذ كل إسرائيل سياسياً بدءا من القدس»[٨٧].

وفى نفس الاتجاه تعمل مؤسسات الأصولية الإنجيلية التى تدعم هذا الاتجاه ومنها على سبيل المثال منظمة جبل المعبد Temple mount التى تأخذ على عاتقها إعادة بناء هيكل سليمان فى القدس ومقر هذه المؤسسة المسيحية الأمريكية القدس!!

وتتولى جمع الأموال اللازمة لامتلاك العقارات المجاورة لموقع الهيكل وتمويل عمليات الحفر التى تجرى تحت المسجد الأقصى.

ولا نبالغ إذا قلنا إن هناك العشرات والمئات من مثل هذه الجمعيات والمؤسسات فى إسرائيل وأمريكا، تحاول أن تدفع التاريخ إلى نهايته.

صـــدام الأصـــولـــيـــات

5

الدولة اليهودية

دار الخيّـــال

كيف تكون أصوليا فى السماء الأولى وعلى الأرض؟!

حتى نهاية الستينيات ظلت الأيديولوجية الصهيونية العلمانية تمثل مراكز المقدمة فى دولة إسرائيل بينما قبعت التيارات الدينية فى الظل، وبقى تفسير الكارثة النازية يتأرجح ما بين الطرح الصهيونى الذى يرى أن الحاخامات الأرثوذكس هم سبب الكارثة أو على الأقل يتحملون جزءا كبيرا من المسئولية عنها، وذلك بمنعهم لأتباعهم من الهجرة إلى فلسطين أو إهمالهم تنظيم المقاومة للحل النهائى الهتلرى «التسمية التى أطلقت على الإبادة النازية لليهود»، وكان برأيهم أن ما فعله حاخامات الأرثوذكسية كان لابد أن يقود إلى تلك النهاية.

فى المقابل رد الأرثوذكس على تلك الاتهامات بتأويل مضاد بدأ يظهر منذ الخمسينيات يقول بأن الصهيونية هى التى أسرعت بالكارثة حين ابتعدت عن الموقف الشتاتى التقليدى الذى يرى فى السعى الدائم للتسوية والوصول إلى حلول وسط مع الأغيار أمراً عادياً، وهو الذى أتاح استمرار الحياة فى الشتات، وغالى بعض الحاخامات الأرثوذكس فى نظريتهم تلك حتى وجد أحدهم فى التوراة ما يدعمها عندما قال: إن التوراة تحذر اليهود وتطلب إليهم (المفاصلة) الكاملة فى كافة وجوه حياتهم مع الشعوب المحيطة بهم.

وتأسيساً على ما سبق فإن الأيديولوجية الأرثوذكسية تقلب التفكير الصهيونى

رأساً على عقب، وتجعل من معسكرات الإبادة عقاباً مثالياً لكل مشروع سياسى يهودى لا يستمد إلهامه من التوراة ويحترمها احتراما صارما دقيقا «٨٨».

لقد بدأ هذا التأويل المعادى للصهيونية يتنامى فى أوساط الأرثوذكس اعتبارا من السبعينيات بقدر تنامى المعاهد التلمودية (اليشيفوت) وتنامى نفوذ الدينيين فى إسرائيل ودول الشتات، وحين يخترع هؤلاء الأرثوذكس هذه الرواية الخاصة بالإبادة النازية ويصدقونها، فإنهم يعاودون الانخراط فى التاريخ مع محاولة خلق مستقبل لليهود المعاصرين يتم ربطهم برباط القداسة لأن الإله هو الذى يحرك التاريخ ويعاقب الخارجين على شريعته عقابا قاسياً.

إنها نفس الفكرة التى تسقط أحداث الماضى على الواقع أو هو التفسير التاريخى للأحداث، تلك الرؤية التى تسيطر على عقول الأرثوذكس أو الأصوليين إلى حد كبير، وهذه القراءة للتاريخ هى التى أتاحت لهؤلاء الأرثوذكس فى إسرائيل مد جسور الصلة مع الأجيال الشابة الغارقة فى ثقافة علمانية دنيوية ومن ثم تلحقهم بتيارها الهادر اعتبارا من السبعينيات بقبول التوبة (تيشوفاه) ويكون لزاما على هؤلاء التائبين (البعليين) أن يهجروا أولا تعليمهم وثقافتهم السابقة كشرط لقبولهم بين الحاريدين دونما ـ حتى ـ فرصة يبحثون فيها عن توليفة أو تركيبة تجمع بين التوراة والعلمانية على الرغم من صعوبة هذا الافتراض من الناحية العملية «٨٩».

وسريعا ما يتم ابتلاع هؤلاء التائبين فى بحر السواد الأرثوذكسى، لدرجة أنه ما أن يمر قليل من الوقت عليهم حتى يصعب تمييزهم من ناحية المظهر الخارجى، أما داخلياً فإنهم يتحولون إلى كائنات ممسوخة حتى مع الاستمرار فى وظائفهم المهنية أو الأكاديمية.

وكان لانحسار نشاط حركة جوش أمونيم بعد اكتشاف مؤامرتهم التى كانت تهدف لتدمير الأماكن المقدسة الإسلامية، تلك الحركة التى كانت تمثل أهم مرجع ثورى دينى للمجتمع الإسرائيلى فى السنوات الممتدة من منتصف السبعينيات إلى منتصف الثمانينيات، قد أتاح ـ هذا الانحسار ـ لأن يحتل مقدمة المسرح حركات أخرى تمارس التهويد من أسفل، وتتمثل فى الجمعيات والأحزاب الحريدية، تلك

التى تؤدى بمن يعتنق فكرها إلى أن ينفصل عن الحياة اليومية للمجتمع المحيط به، ويعيش فى جيتو متحدى سواء فى إسرائيل أو فى الشتات.

هذه الجمعيات والنحل والأحزاب يجمعها منطق ومنطلق واحد مشترك يتمثل فى التطبيق للطاعات فى الحياة اليومية أى الوصايا والأوامر المستقاة من النصوص المقدسة، ليخلق أتباع هذه الجمعيات والأحزاب الهوية اليهودية الخاصة بهم ويتميزوا عن المجتمع المحيط غير اليهودى أو المجتمع اليهودى غير المتقيد بالشريعة.

وخارج إسرائيل عرفت اليهودية ما سمى بنظام (الكهيلوت) أى الجماعات اليهودية فى الشتات، وهو نظام وسط بين الانفتاح والتنوير (الهسكلاه) والصوفية القبالية (الحسيدية)، كان هذا فى الماضى أما فى نهاية هذا القرن العشرين فقد وجدت اليهودية فى الأصولية الأرثوذكسية ما تصورت أنه هويتها المفقودة، وصار التطرف بنظرته التبسيطية هو القبلة المفضلة للشباب فاقد الاتجاه. وعندما يكون الإنسان فقيرا أو منبوذا أو يشعر بالاضطهاد فإنه غالباً ما يبحث عن مظلة يحتمى تحتها وجدار يستند عليه ظهره، ولعل فى هذا يكمن بعض التفسير المنطقى لاعتناق يهود الشرق (السفارديم) سواء فى إسرائيل أو فى دول الشتات للأرثوذكسية، وهناك سبب آخر يتمثل فى القدوة، فلقد وجد هؤلاء السفارديون فى زملائهم الأشكيناز الذين سبقوهم لاعتناق الأرثوذكسية (اليهودية المتشددة) مثلاً أعلى للنقاء، فرفضوا اليهودية التقليدية الهادئة لإفريقيا الشمالية واندمجوا فى الأرثوذكسية اللتوانية الأكثر تطرفاً.

كذلك بدون وعى أراد هؤلاء السفارديون أن يتحملوا نصيبهم من المأساة النازية فتقمصوا ـ بدون وعى ـ دور الضحية وتخلوا عن هويتهم كأثر للصدمة النازية.

إن الاحترام المرضى للشريعة اليهودية يؤدى إلى الانكفاء على الذات واستبعاد كل من لا يتواءم مع المظهر الدينى المتشدد، والنموذج الأكثر تكرارا لهذا الاتجاه يتمثل فى هؤلاء الذين يرفضون التحاور ويغالون فى التطرف.

وهكذا يتم التنافر بين طوائف الشعب اليهودى فيتحول المتدينون إلى أصوليين متشددين وعلى سبيل رد الفعل يتحول المسالمون إلى علمانيين مناضلين فى الاتجاه المضاد للأرثوذكسية «٩٠».

إن كل الشواهد تدل على أنه فى إسرائيل الآن هنـاك حالة من الهذيان تسيطر على العـالم الأرثوذكسى، ذلك العالـم الذى يخلـق هوة عميـقة تفرق بـين الأب والابن ضاربين فى العمق وصيـة التوراة التى تحض على إكرامهما، حيث تتـم عملية غسيل مخ للصبية والمراهقـين كشرط للعودة إلى الدين، ويصير للحاخام الـسلطة التى تتخذ كل القرارات بما فيها قـطع صلة الأبناء بأبويهما إذا اعتقدوا أن الأخـيرين بعيدان عن الدين.

أيـضاً هـناك قـائمـة طويـلة مـن الممـنوعـات والمحاذيـر تعـلن أن «الـديمقـراطيـة الإسرائيلية» صارت رهـينة فى براثن رجال الدين، وصار الحاخامـات يسيطرون على الحالة الـدينية للمـواطنين حيث لا يمكـن دفن ميت إلا بعد أن يُـعلن انتماؤه الـدينى، وقسـمت المقـابر لتـخصص مـدافن خاصة لمـن لم يعـترف الحاخـامات بيـهوديتـهم (الحالات المـلتبسـة)، وفى أمور الزواج نجـد ما هو أسـوأ من ذلك فالمـلحدون (بنـظر الحاخامـات) عليهم أن يـسافروا خارج إسـرائيل حتى يـستطيعـوا إتمام زيجاتـهم، أما داخل إسـرائيل فـقد نشرت الحـاخاميـة قائمـة سوداء تضم آلاف الأسـماء لمواطـنين ومواطنات لن يُسمح لـهم بالزواج لأنه مشكوك فى انتمائهم لليـهودية هم أنفسهم أو أسلافهم، أو لأن النساء منـهم متهمات بالخيانة الزوجية، ويـنـدرج تحت بند المنع أيضا هؤلاء الـرجال الذين يـنحدرون من نـسل الكهـنة وتسرى عـليهم بـعض القيـود فى الزواج.

ويعكـس النشاط اليومـى للبشر فى إسـرائيل نمو وتكـريس العالم المتـدين والأدلة كثيرة، فعلى سبيل المثال أُجبرت شركة العال (الطيران الإسرائيلى) على وقف نشاطها فى نقل الركاب يوم السبت من كل أسبوع، وتكتفى فى هذا اليوم بنـقل البضائع فقط إذ يبدو أن الـشريعة لم تـهتم بالبـضائع (!!) لكنـها اهتمت بمـسائل أخرى مثـل منع عمليات الإجـهاض ولذلك فهى تجرى سراً مثل عـمليات التشريح فى المسـتشفيات، وعلى لافتات الأتوبيـس ترى نصوص الصلاة الخاصة بأخطار الطريق، أيـضاً تستطيع أن تلـحظ بين النـاس هذا الاهتمـام المرضى بشـروط الطعام الحـلال (الكاشيـر) ولم يستثـن الأطفال من دائرة الاهتمام تـلك، لذلك فقد تم تطويـر ألعاب الكمبيوتـر ليتم استخدامها شروحاً فى الشريعة اليهودية أو أسـفار موسى الخمسة والفلسفة الصوفية القبالية (!!)

ويتلقف رجال الدين الذين ينغمسون فى العمل السياسى مطالب هؤلاء الأرثوذكس للإتجار بها، وهم في ذلك يلبسون الأمر شيئاً من الجدية لا يخلو من الهذل مثلما حدث فى الواقعة التالية.

في الشهر الأول من عام ١٩٩٨ تقدم الحاخام عوفديا يوسف زعيم حزب شاس الدينى بطلب للحكومة الإسرائيلية تم تعزيزه من الحاخام يهوشوع هاجار رئيس مجلس كبار رجالات التوراة بالإضافة للحاخام الأكبر إسرائيل لاو وعضو الكنيست السابق مناحم باروش وآريه درعي عضو الكنيست وزعيم أعضاء شاس البرلمانيين، جميع هؤلاء سابقو الذكر يطالبون رئيس الوزراء بتخصيص عدد من شواطئ المدن الإسرائيلية لكى يستخدمها المتشددون دينيا (الأرثوذكس) بعيدا عن مظاهر العلمانية الكافرة (على حد تعبيرهم) وشفعوا طلبهم بتفسيرات قانونية (!!)(٩١).

وفى منتصف نفس العام (١٩٩٨م) طرحت صحيفتا معاريف ويديعوت أحرنوت تساؤلا هاماً على المجتمع الإسرائيلى وحكومته وهو: هل تتحول إسرائيل عام ٢٠٠٠ ميلادية إلى الخومينية اليهودية؟! (الخومينية فى الغرب كما فى إسرائيل هى رمز للأصولية الإسلامية)، ويكتسب هذا التساؤل أهميته من أنه يعكس حالة من القلق تنتاب اليهود الإصلاحيين والعلمانيين بسبب بعض الإشارات التى تدل على استجابة الحكومة لمطالب هؤلاء الأرثوذكس مثلما حدث فى نهاية عام ١٩٩٧م حينماحصلوا على موافقة الحكومة والكنيست بتخصيص مواصلات عامة خاصة بهم ذات مواصفات محددة كأن يتم فيها الفصل بين عربة النساء وعربة الرجال أو يقود السيارات الخاصة بالنساء واحدة من جنسهن.

أيضا لهؤلاء الحاريديم قانون خاص ومحاكم خاصة تسمى المحاكم الحاخامية، وأية مخالفة لهذا القانون الصارم داخل العالم الأرثوذكسى لها عقوبتها الرادعة التى تصل إلى الحرمان الدينى، أى المقاطعة الكاملة إلى حد المنع من دخول المعبد أو الطرد خارج البلاد.

ويحاول هؤلاء المتطرفون دائماً التدخل فى أعمال المحكمة العليا لإسرائيل وتحويلها إلى هيئة سياسية خاضعة لممثلى أحزابهم الدينية فى الكنيست، والأمثلة كثيرة، ففى غضون عام ١٩٩٨م اقترح حزب التوراة المتحدة مشروعا يقضى بضرورة

موافقة الكنيست على المرشحين كقضاة فى تلك المحكمة والحد من اختصاصاتها، وهذا يعنى أنهم يريدون التحكم فى المنبع الذى يخرج منه القضاة، وبالتالى يكون لزاما على من يريد أن يصل إلى هذا المنصب أن يتملقهم أو على الأقل يهادنهم مثلما فعلت الحكومة الإسرائيلية التى أصدرت قرارا رسميا بحظر مرور السيارات فى شارع بار إيلان يوم السبت المقدس من كل أسبوع، وردت المحكمة العليا على هذا القرار بأن طالبت الحكومة بتقديم أسباب مقنعة لهذا القرار.

وهكذا اندلعت شرارات الحرب بين المتطرفين الأرثوذكس والمحكمة العليا التى صارت مثل الشوكة فى حلقهم، وعلى شاشات التليفزيون رأى العالم كله المشهد التالى فى يوم من أيام شهر فبراير عام١٩٩٩عندما خرجت جموع الأرثوذكس مجللة بالسواد تغطى شوارع القدس فى مظاهرة استعراض للقوة تعترض فيها على قرارات صدرت عن المحكمة العليا تتعلق بشأني تجنيد أتباعهم فى الجيش والحريات الدينية.

لقد ترتب على هذه المظاهرة إحساس حقيقى بالخوف شمل أعضاء الحكومة الإسرائيلية حتى أن رئيس الوزراء - آنذاك - بنيامين نتانياهو حذر من وقوع حرب أهلية، وتحرك اليهود الإصلاحيون والعلمانيون يحاولون تكوين جبهات مضادة للدينيين وهم يشعرون أن الحكومة بالغت فى تدليلهم والاستجابة لمطالبهم بينما هم يعيدون مشاهد القصة القديمة تلك التي تحكى عن الرجل الذى ربى الذئب فى بيته وعندما كبر غلبت عليه طبيعته وتوحش، وهكذا فعلت الحكومات الاشتراكية المدنية العلمانية المتعاقبة منذ قيام إسرائيل بسياساتها الداعمة للتطرف الدينى القومى سواء فى التعليم أو التجنيد، وفى المقابل كانت طلبات الأرثوذكس تزداد مع كل عام يضاف إلى عمر دولة إسرائيل، وفشل رهان المؤسسين الأوائل بالنسبة للحاردية التى نظروا إليها على أنها متحف حى لثقافة اندثرت وأن الزمن كفيل بالقضاء على هؤلاء اليمينيين الذين يرتدون التفلين (العصابة التى تحمل كلمات التوراة) لكن المدارس الدينية (اليشيفا) كانت تلعب دائماً دور الخلية التى تتكاثر حولها الأصولية وتنمو، وصارت عملية التعليم والدرس إحدى الفاعليات التى يتمحور حولها الإحياء الدينى المتطرف، هذا التعليم الذى لا يمارس فقط فى قاعات الدرس داخل المدارس الدينية التلمودية ولكن أيضاً يمارس فى البيوت.

وتزداد أعداد الذين يقبلـون على هذا النوع من التعليم الدينـى وتتسع الدائرة، فلا تقتصر على طبقـة أو مهنة بعينها، فهناك التجار ورجال الأعمـال والمهنيون والباحثون، كلهم ينفقون جـزءا مهما من وقتهم وساعات فراغهم فى دراسـة التلمود أو التراث الدينى اليـهودى كدراسة من أجل الدراسة والمـعرفة ومحاولة لفهـم النصوص، هذا الطريـق الذى يمثل سـعيا مقدسـاً ومباركاً وشعـيرة رئيسـية من شعائـر التعبـد وليس للأغراض العملية«٩٢».

ومن شاطئ العلمانـية إلى بحر الأرثوذكسية العميق يتم سحـب المرء ليتغذى على التراث والشريعة التلمودية ويستقل ذهنه أو ينفصل عن مجتمعه ليكتسب نسقا خاصاً من اللغة والفكر ونظاماً من المفاهيم المشتركة والمعرفة الخاصة بالأصولية اليهودية.

إن تأكيـد قوة الحاريديـين لا يعتبـر تطوراً مفـاجئا سواء أكـان فى إسرائيـل أو فى مناطـق الأقليات الـيهودية، فـكثيرا مـا شعر هؤلاء الحـاريديون فى أنـفسهم بـأن تيار التاريخ اليهودى يحول مسارهم خاصة بعـد مرور قرنين من العزلة والتقلص منذ أن ظهـرت دعوات التـنويـر فى أواسط الـيهود؟ أمـا الشىء الـفجائـى فهـو تأثيـر ذلك الانتصار الذى حققه الحاريديون على وعى بقية اليهود الذين لا ينتمون إليهم.

بقى فـى هذا الموضوع تـوضيح هام يـتعلق بـالدعم السـياسى والاقتـصادى الذى حصل عـليه الحاريديم فـى السنوات الأخيـرة وأكسبهم أرضـاً جديدة عملـوا بذكاء شديد من جانبهم للحفاظ عليها وزيادة مساحتها.

فعلى مستوى الاقتـصاد سوف نعطى مثلاً بسيطا فى كيـفية فرض الإرادة المتشددة على الحكومة ومؤسساتها.

عندما بـدأ الأرثوذكس يطالبون الـشركة الوطنية للـطيران (العال) بطلـبات خاصة بهم مثل تعطيل رحلات الشركة لنقل الركاب فى يوم السبت؟ رفض القائمون على الشركة تـلك الطلبات من منـظور اقتصادى، وهنا بـدأ الحاخامات ينصحون أتـباعهم بعدم السـفر على خطوط العـال وبدأ مؤشر الخسارة يرتـفع عاماً بعد عام، وفـى نهاية صراع طويل مع حاخامات الأرثوذكسية وفتاويهم ضد الشركة اضطر القائمون عليها إلى الاستـجابة لمطـالبهم، وحاجـاتهم، بل وبـذلوا جهدا كبـيرا فى ذلك حـتى أنه تم

تدريب أطقم العاملين على متن طائرات العال على التظاهر بالخشوع وإغلاق أعينهم عندما يجتمع الدينيون اليهود في ممر الطائرة ليؤدوا صلواتهم بينما تخترق قطعة الحديد التي تقلهم السماء الأولى.

وزيادة في الترويج لسلعتها بدأت شركة العال منذ صيف ١٩٩٠ تبث صفحة يومية من التلمود ضمن برنامجها الترفيهي على الطائرة جنباً إلى جنب مع الموسيقى الكلاسيكية والأغاني والأفلام، وهكذا أصبحت شركة العال هي الشركة الوطنية الوحيدة في العالم التي تطير ستة أيام بدلا من سبعة.

وإذا كان هذا يحدث في إسرائيل فإن ثروات الحاريديين المعزولة في نيويورك ومراكز استخراج الماس في القدس ولندن لا يمكن أن تظل بعيدة طويلا كما لو كانت محولة أو مهربة فهي تزداد بصورة ضخمة وتزيد في نفس الوقت ثقتهم بأنفسهم وتقوى عزمهم على التأثير في العالم من حولهم.

أما على مستوى السياسة فإن سنوات حكم الليكود التي قادها بنيامين نتانياهو منذ نجاحه في انتخابات ١٩٩٦ وحتى سقوطه سنة ١٩٩٩ أتاحت ـ هذه المدة ـ للتطرف الديني أن يبلغ أشده وأن يأخذ التيار اليميني الديني دفعة للأمام.

هذه الأرض التي يكتسبها الحاريديم عن طريق السياسة والاقتصاد يتم الحفاظ عليها ودعمها بذكاء شديد، وبعمل دءوب متواصل، فهؤلاء المتشددون تجاه مظاهر المدنية والحداثة يستخدمون أحدث وسائل الاتصال والتكنولوجيا ويوجهونها لخدمة أهدافهم، حتى أنه يتم تشبيه العالم الحاريدي بأنه جيتو عالمي يتصل عن طريق القمر الصناعي والفاكس ووسائل الإعلام المطبوعة التي تحمل كل يوم أعمال وأقوال قاداتهم الروحانيين مشتملة على صور منقولة بالراديو للرجال المقدسين أثناء أداء أعمالهم، هذا بالإضافة إلى شبكة عالمية للتعليم مثل شبكة (إن عوتزار هاتوراه) وهي حركة سفاردية عالمية.

أيضًا داخل إسرائيل فالمجتمع الحاريدي مجتمع حديدي صعب الاختراق من غير المنتمين إليه، شديد الحفاظ والتماسك على أفكاره وأتباعه، يكاد يعيش هذا المجتمع في جيتويات مغلقة، لأن هذا هو الضمان الوحيد للحفاظ على الأرضية وعلى الهوية

الدينيـة، فمثلاً فى مدينـة بيني براك التى تقـع فى ضواحى تل أبيب يـعيش ١٤٠ ألف نسمة كلـهم من الأرثوذكس، والمدينة تحـمل فى طياتها مجـتمعاً جامدا غير مـتسامح وعنيفا، حيث لا يتردد أعضاء هذا المجتمع فى الخروج من أحيائهم لفرض أخلاقياتهم بالقوة على الآخرين، وحـيث تراقب ميليشيا الأخلاق الجميع ومهمـتها المحافظة على مظاهـر التزمت وقواعـد الأخلاق تلك التـى تمنع شخـصاً من اقتنـاء جهاز تليـفزيون خاص لأنه من المحـرمات وتعاقب صاحب كـشك بحرق مصدر رزقـه لأنه يعرض الصحف والجرائد العلمانية فى حيهم، إنها أيـديولوچية تطبيق الإيمان بالقوة، وطبيعى أن نجد الجماعات التى تقـوم بمثل هذه الأعمال تطلق على نفسهـا أسماء من مثل: (يد الإخوان).

وإذا كانت الجمل الخبرية والإنشائية جـمل مطاطة فإن الأرقام والإحصائيات ذات دلالة محددة على الـظواهر، وعلى الرغم من كونهـا متغيرة بالزيادة والنقـصان فإنها تثبت الحالة فى زمن معين.

والأرقام الـتى تحت يدنـا تدور حول السنوات الأولـى من العشـرية الأخيـرة فى القرن العشرين، ووردت فى دراسة للكاتـب الـيهودى عمانويل هامان حول الأصولية اليهوديـة، وكدليل على صـعود الأرثوذكسية فـي إسرائيل يورد هامـان في دراسته أن عدد الدارسين فـي المدارس الدينية (اليشـيفوت) في تلك السنـوات كان يدور حول ١٦٠ ألفا يتـمتع أكثر من خمسـهم بالإعفاء من الخدمة الـعسكرية حيث يعـتبر هؤلاء المعافين ـ أنـفسهم ـ يحاربون من أجـل إسرائيل في مواقع أخرى ـ أمـا عدد الأطفال الذيـن يتعلـمون في مـدارس دينية فـتبلـغ نسبتـهم حوالـي ٣٣٪ من الأطفال الـذين يتعلمون فى إسرائيل.

وبشـكل عام يكـوّن الأرثوذكس حـوالى ٢٨,٥٪ من السـكان فى إسـرائيل طبـقاً لإحصائـية أجريت سنـة ١٩٩٠م ومن المتوقع أن تزداد هـذه النسبة إلـى ٣٧,٨٪ سنة ٢٠١٠م بفـضل الـزيادة الـسكـانية المـطردة فـى أوساط الأرثـوذكس، والـهجـرة إلى إسرائيـل، وفى هذا اكتفـى الكاتب بالـزيادة النوعية الـطبيعيـة ولم يدرج فى حسـاباته الزيادة الناتجة عن التحول فى الأفكار والمعـتقدات والتى تميل لصالح الأرثوذكس. أما

فى مديـنة القدس فيزداد عـدد السكان الأرثوذكس بـنسبة ٥٪ كل أربع سـنوات، فى حين ينقص عدد غير المتدينين بنفس النسبة حيث ينجب الأخيرون أطفالا أقل ويميلون إلى الانتقال للسكن بعيداً عن المدينة التى تتخذ طابعاً حريدياً أكثر فأكثر.

هذا وقد بنيـت ضواح جديدة من أجل السكان المـتدينين الذين يعيـشون فى تلك الضواحـى فى عزلة مادية وأدبـية، وهم أنفسـهم الذين يمثـلون حائط صد يمنـع تدفق العرب، ويحققون فـى نفس الوقت المعدل التاريخى اليـهودى لإنجاب الأطفال الذى يبلغ من ثمانية إلى تسعة أطفال للأسرة الواحدة (!!)

وأخيراً: فـإن هناك نصـيحة موجـهة من خبـراء المخابرات المركـزية الأمريكـية تم إعلانها على صفحات الصحف الإسرائيلية تحذر من ثورة دينية يهودية محتملة خلال القرن الواحد والعشـرين، ويصف هؤلاء الأمريكيون تلك الثورة بـأنها ستكون أقوى بمرات عديدة من المخاطر الـتى يتعرض لها العالم حالياً من الـتطرف الإسلامى مثلاً؛ وذلك لأن مراكـز القوى المؤثـرة على القـرار الأمريكى هـى فى الأصل مراكـز قوى يهودية.

صـــدام الأصـــولـــيـــات

6

مساومة وابتزاز

دار الخيّـــال

أصول اللعبة

مرة أخرى نعود إلى تلك القصة القديمة التى تحكى ملابسات نشأة دولة إسرائيل ودور الدين فى هذه النشأة:

سبق أن قلنا أن كثيرا من المتدينين قد رفضوا قيام هذه الدولة على أساس دنيوى واعتبروا أن ذلك شئ ملعون وضد روح الدين لأن - بنظرهم - الانفتاح على العالم والتسامح مع الأمم ارتبط به الاندماج ومن ثم فقدان الهوية والابتعاد عن أداء الواجب نحو الله.

لقد رأى هؤلاء المتدينون أنهم معشر اليهود ليسوا فى الجالوت باختيارهم وأنهم لن يخرجوا منه لمجرد الرغبة فى ذلك.

وسبق أيضاً أن قلنا إن العلمانيين الذين اضطلعوا بمشروع الدولة الإسرائيلية نظروا للدين على أنه فلكلور شعبى تراثى، ولم يخف حاييم فايتسمان أول رئيس لدولة إسرائيل رأيه فى الأرثوذكسية التى رآها مثل تراب الشتات وأن على شعب إسرائيل أن ينفضها عن كاهله لأن أمة اليهود الجديدة لن تختلف عن أية أمة أخرى(!!).

الفكـرة الأساسية أو حـجر الزاوية الذى الـتقى عنـده المتدينون والـعلمانـيون فى المشروع الصهيونى هو فكرة أرض إسرائيل، تلك الـفكرة التى حركت الجميع ليلتقوا أخيرا فى فلسطين.

وعلى الرغم مما سبق فإن أصوات هؤلاء المتدينين لم تغب عند قيام دولة إسرائيل، فلقـد كان هناك بالـفعل أربعة أحـزاب دينية يهـودية قائمة فـى فلسطين قـبل الإعلان الرسـمى لدولـة إسرائيـل، وهى أحزاب المزراحى، والعـامل المزراحـى، وأجودات يسرائيل، وعمال أجودات يسرائيل، ومن كل القـوى السياسية اليهودية الموجودة على أرض فلسطـين تم تشكيل هيئـة أطلق عليهـا إدارة الشعب لوضع إعلان قـيام الدولة، واجتمـعت هذه الهيئـة قبل الإعلان الرسـمى بثلاثة أيـام، وكان هناك ثلاثة مـندوبين دينيين من مجموع الاثنى عشر عضواً المكونين لـهذه الهيئة، هؤلاء الثلاثة تبنوا التأكيد على الطابع الدينى للدولة الجديدة، وبالمرصـاد وقف لهم التسعة الباقون الذين يمثلون الأحزاب الـعلـمانـية وتـدخل بـن جوريـون ليصل إلـى حل وسـط يرضـى جمـيع الأطراف، وخرج إعلان الدولة يتضمن فى روحـه البركة الأخيرة لصلاة الخالق "٩٣" التى تقول:

«يا حامى إسرائيل قم بمساعدة إسرائيل وامنح عطيتك ليهودا وإسرائيل».

وفى مـساء ١٤ مـايو سنـة ١٩٤٨م اتفق الجـميع على صـيغة لإعـلان قيـام دولة إسرائيل وهذا نصها:

«بثقـتنا فى رب إسـرائيل نوقع بـأيدينا كـشهود على إعـلاننا هذا فـى دورة أعضاء مجلس الـدولة المؤقت، بمن فيـهم أعضاء الحكومـة المؤقتة، هنا فـى المدينة العبـرية تل أبيب فى هذا اليوم مساء السبت ١٤ مايو ١٩٤٨».

ومنذ هـذا التاريخ أصبحـت هذه الواقعة مؤشـرا لعملية الـتوفيق والمساومـة التى أصبحت تحكم العلاقات بين الدين والدولة فى إسرائيل «٩٤».

لقد قـبلت الأحزاب الديـنية الصهـيونية فى إسـرائيل أن تلعـب من البداية لـعبة السياسة بشكل مكشوف بينما نأت عن ذلك بقية القوى الدينية وخاصة الحسيدية التى تعارض قـيام الدولة، لـكن هذا لا يعنـى أنها لم تـتورط فى لعبـة السياسـة من خارج

إطارها الرسمى المتمثل في تكوين أحزاب وخوض انتخابات من أجل التمثيل النيابي، والمثال الواضح على ذلك زعيم طائفة حبد الحسيدى القابع فى مقره ببروكلين لم يغادره حتى موته والذى رفض دولة إسرائيل من منطلق عقيدى، وهو نفسه الذى أرسل بفتاواه لأتباعه فى إسرائيل ليحركهم سياسياً أثناء الانتخابات أو يأمرهم بفعل مباشر يقومون به مثلما حدث فى الليلة الثانية من عيد المظال عام ١٩٩١ م حينما أصدر لأتباعه فى إسرائيل فتوى بضرورة تنفيذ الوصية الشرعية التى تقضى بإجراء احتفال بيت السقاية فى الحرم القدسى الشريف«٩٥»، هذه الفتوى التى حركت آلافاً من اليهود لاقتحام الحرم وأحدثت مواجهة مباشرة مع العرب المسلمين راح ضحيتها ١٧ مصلياً مسلماً برصاص حرس الحدود الإسرائيلى.

.. وهذه الفتوى وإن بدت أنها فتوى دينية إلا أنها عمل سياسى فى المقام الأول مثلها تماماً مثل فتوى هذا الأدمور نفسه التى تحث اليهود على عدم التخلى عن الأرض المحتلة من منطلق أحكام الشريعة الدينية، أيضاً ومن مكانه فى بروكلين اشترك أدمور حبد فى صراع الحاخامات الذى دار فى إسرائيل حول تعريف «من هو اليهودى؟».

وما دمنا قد وصلنا إلى هذه النقطة فثمة أسئلة لابد أن نبحث لها عن إجابات؛ هذه الأسئلة تتعلق بالممارسة السياسية فى إسرائيل على المستوى الرسمى للدولة، ودور القوى الدينية فى هذه الممارسة.

يرى الدكتور حامد ربيع فى دراسة له عن عملية صنع القرار السياسى فى المجتمع الإسرائيلى أن أسلوب الممارسة السياسية الصهيونية تمت وراثته من التاريخ اليهودى السابق على وجود إسرائيل، والنابع من الشخصية اليهودية وخبرتها فى مجتمع غرب أوروبا التى كانت تعتمد دائماً على مفهوم التوفيق والائتلاف مع المجتمعات الأخرى المعادية الرافضة للوجود اليهودى فيها.

هذا الأسلوب الذى يقوم على مفهوم البحث بثبات وصبر حول الحد الأدنى لتقبل وحدة الحركة، وترك الخلافات الجوهرية جانباً وتكتيل القوى حول الدفاع عن البقاء، وعلى الجانب العملى للممارسة هناك بعد تاريخى نستطيع أن نلخصه كالتالى:

مع بداية القرن العشرين وعندما زاد عدد اليهود فى فلسطين أنشأ عدد من مجموعات الحاريديم المتدينين شكلاً اتحادياً فيدراليًا ليتيح لهم الكلام بصوت واحد فى المسائل السياسية الكبرى التى تتعلق بمصير اليهود تحت اسم (أجودات يسرائيل)، ومن البداية عملت أجودات على جمع شمل الربّى الحسيدى ومعلمى اليشيفا لمكافحة الأيديولوجيات القومية الاشتراكية اليهودية، وعلى الرغم من أن غالبية الحاخامات الأرثوذكس كانوا معادين للهجرة إلى فلسطين لخشيتهم من الخسارة أمام الصهيونية المسيطرة فإن بعضهم هاجر بالفعل واستقر إما فى القدس وإما فى بعض المستوطنات التى أقاموها وجعلوها بمثابة جيتو مغلق عليهم مثل حال مستوطنة بيني براك التى تأسست عام ١٩٢٤م على يد رجال دين بولونيين وهى لا تبعد كثيرا عن تل أبيب، تلك المستوطنة التى سرعان ما تحولت إلى واجهة للأرثوذكسية ومثال للعديد من المستوطنات المشابهة فيما بعد.

وأثناء فترة الانتداب البريطانى على فلسطين كان اليهود مجرد طائفة ينظم وجودها تنظيمات رسمية، وتم استخدام هذه الطائفة وتنظيماتها كأساس لتنظيم كل القوى اليهودية من قومية ودينية على اعتبار أنهم علمانيون.

أما بعد إقامة الدولة فقد انتهى الوضع الطائفى اليهودى ومعه كذلك المؤسسات العلمانية التابعة له وحلت محلها مؤسسات رسمية تابعة للدولة لها مهام دينية وصلاحيات تجاه كافة السكان من اليهود، وأخذت الدولة على عاتقها تنظيم الشئون الدينية ومنحت صلاحيات قانونية للتنظيمات الدينية وأعطت فاعلية لأوامر الدين المختلفة «٩٦».

وخلال العشرين سنة الأولى لقيام إسرائيل كانت الأحزاب الصهيونية العلمانية هى المسيطرة على الساحة السياسية، بينما كان الدينيون الأرثوذكس مشغولين فى معركة الدفاع عن وجودهم ووجود نظامهم التعليمى ووضع طائفتهم بمنأى عن أن تطولها يد الدولة العلمانية.

وخلال إحدى عشرة دورة انتخابية للكنيست تمت بين عامى ٤٨ و ٨٤ تراوحت نسبة تمثيل الأحزاب الدينية ما بين ١٢٪ و ١٥٪ من الأصوات ظفر فيها الحزب القومى الدينى الصهيونى المسمى المفدال بنصيب الأسد دائماً.

وهكذا دارت اللعبة السياسية منذ قيام إسرائيل، وحتى الآن للمتغير الدينى دور هام بجوار حزب الأغلبية سواء أكان المباى الذى تحول فيما بعد إلى حزب العمل أو الليكود، ويبقى عامل ثالث يحقق ما سبق أن أشرنا له كأسلوب للممارسة وهو عامل الوفاق والائتلاف والذى يتحقق عن طريق المساومة بين باقى القوى الحزبية لتكوين ائتلاف حاكم، وهذا معناه أن أى حزب أو تكتل حزبى مهما بلغت قوته فى إسرائيل لا يستطيع أن يحكم منفردا دون الائتلاف مع الأحزاب الدينية، وعقب أية انتخابات وبعد معرفة عدد المقاعد التى يحصل عليها حزب الأغلبية تقوم قيادة هذا الحزب بعملية حسابية فتخصم عدد المقاعد التى حصل عليها حزبها من أصل ١٢٠ مقعداً وكذلك تستبعد مقاعد الشيوعيين والأحزاب المعارضة وتختار من المقاعد التالية ما تحتاج إليه لتستطيع أن تمارس الحكم.

وهنا يبرز دور الأحزاب الدينية المساوم حيث تبدأ فى طرح مطالبها لأجل الموافقة على مشاركة حزب الأغلبية فى الحكم.

من المساومة إلى الابتزاز

كانت الأحزاب الدينية فى إسرائيل تلعب دائماً لعبة المساومة تلك مع الحزب الرئيسى أو الكبير، حزب المباى الذى سيطر على الحكم فى إسرائيل منذ قيامها وحتى عام ١٩٧٧م.

وعند هذا التاريخ الأخير استجد عاملان أثّرا تأثيرا كبيرا فى دخول الأحزاب الدينية دخولا مظفراً إلى الساحة السياسية، فمنذ هذا العام تحولت الأحزاب الدينية فى إسرائيل من مرحلة المساومة إلى مرحلة الابتزاز الصريح والعلنى للحزب الحاكم من أجل تحقيق مطالبها فى فرض الشريعة اليهودية على المجتمع الإسرائيلى.

أما العامل الثانى فتمثل فى الاستقطاب الطائفى، فقد كان فوز مناحم بيجين فى أول انتخابات يدخلها كزعيم لحزب الليكود سنة ١٩٧٧ م بمثابة رد قاس لسياسات التعالى التى انتهجتها حكومات العمل المتتالية تجاه اليهود الشرقيين أو هؤلاء اليهود

الذين يسمون فى إسرائيل السفارديم الذين يملكون خاصيتين تسمحان بتغلغل الأرثوذكسية بينهم، الخاصية الأولى هى ميولهم الدينية التقليدية والخاصية الأخرى هى إحساسهم بالدونية والغبن من قبل اليهود الأشكناز الذين يسيطرون على الدولة، أو كما يرى الباحث الإسرائيلى «سمحا لنداو» أن الطبقات الأكثر انحطاطاً فى إسرائيل الآن تمثل الجانب الأيمن من المتراس الاجتماعى السياسى الطائفى.

عند هذا التاريخ أيضا (١٩٧٧م) بدأت عملية صهينة بطيئة للجماعات الدينية، فالنسبة التى حصلت عليها الأحزاب الدينية فى هذه الانتخابات لا تعد طفرة كبيرة أو هائلة إذا قارنّاها بما كانت تحصل عليه من قبل، حيث حصلت الأحزاب الدينية فى تلك الدورة التاسعة للكنيست على ١٧ مقعدا من مجموع المقاعد التى تبلغ ١٢٠ أى بنسبة ٢ , ١٤٪.

ومن ظواهر انتخابات هذه الدورة للكنيست أيضا، التراجع النسبى لما حصل عليه الحزب الدينى القومى (المفدال) قياساً إلى الانتخابات السابقة، وفى المقابل برزت على الساحة جوش أمونيم (كتلة الإيمان) تجند الأتباع من داخل معسكر الأشكيناز الذين يتساقطون من شبيبة الحزب الدينى القومى (المفدال) وتمثل الوجه الثورى للأصولية اليهودية فى إسرائيل، بينما تعمل بقية الأحزاب الدينية الأرثوذكسية فى أوساط اليهود الشرقيين (السفارديم).

وبالكشف عن الوجه القبيح التآمرى لجماعة جوش أمونيم سنة ١٩٨٤ كان عليها أن تتراجع إلى منطقة الظل لتصعد إلى المسرح الأحزاب الحاريدية المتشددة، وتأتى انتخابات الدورة الثانية عشرة للكنيست ١٩٨٨م لتعلن أن تلك الأحزاب قد حصلت على ثلاثة أرباع المقاعد التى فازت بها الأحزاب الدينية، كذلك أظهرت تلك الانتخابات أهمية هذه المقاعد لقيام الائتلاف الحكومى، فالحزب اليسارى الذى يقوده العماليون والحزب اليميني الذى يقوده الليكود لم يحصلا على الأغلبية المطلقة وبالتالى كان عليهما أن يسعيا للحصول على دعم الأحزاب الأرثوذكسية الحاريدية لتكوين الحكومة، وفى المقابل فقد قايض هؤلاء الحاريديون على بيع تأييدهم بأعلى الأثمان، وبدون أن يكون لزاماً عليهم الاعتراف بمشروعية دولة إسرائيل الصهيونية، فقد حصلوا (مقابل تأييدهم) على التزامات وتعهدات من الحكومة تتيح لهم تشديد قبضتهم على جمهرة مريديهم المتزايدة.

وتمت ترجمة ذلك إلى معونات مادية ومعنوية لمؤسسات الحاريديم التعليمية الدينية، وقوانين لإسكان المستأجرين الدينيين إلى آخر هذا الدعم المادى والمعنوى.

غير أنه صار بوسع عملية التهويد من أسفل (على المستوى الشعبى) أن تتسع لتشمل المجتمع ككل، وذلك بجعل السلطة الصهيونية العلمانية الدنيوية تتخذ تدابير تهويد زاحفة على مستوى الشعب الإسرائيلى، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير إلى ذلك المشروع الذى قدمه حزب الليكود إلى مجلس كبار التوراة فى الرابع من ديسمبر عام ١٩٨٨م وينص على أن الحزب مستعد للعمل ضد التحريض المعادى للدين فى وسائل الإعلام، وأن يؤيد تعريف الهوية اليهودية وفقا للشريعة اليهودية (الهالاخاه) لتحديد قومية المتهودين (المعتنقين لليهودية) والوافدين من الخارج [٩٧].

أيضاً فى انتخابات دورة الكنيست الثانية عشرة برز الاستقطاب الطائفى بصورة كبيرة عندما حصل حزب شاس الدينى الذى يمثل اليهود الشرقيين على ٥ مقاعد زادت إلى ستة فى الدورة الثالثة عشرة التى جرت انتخاباتها سنة ١٩٩٢م.

وفى الدورة الرابعة عشرة التى جرت انتخاباتها سنة ١٩٩٦ ارتفع عدد مقاعد الدينيين ليصل إلى ٢٤ مقعدا وهى طفرة كبيرة لم تحدث من قبل، وبرز على السطح بشدة الاستقطاب الطائفى وصارت هناك مدن رمزية للأرثوذكس مثل مدينتي نيتفوت وأوفاكيم اللتين صوت أغلب سكانهما فى تلك الدورة والتى قبلها لصالح مرشحى حزب شاس، أما على مستوى معركة رئاسة الوزراء فقد حصل بنيامين نتانياهو من نيتفوت على نسبة تبلغ ٨٦٪ من الأصوات بينما حصل منافسه بيريز على ١١٪ فقط، وفى بلدة أوفاكيم وهى من مدن التنمية الفقيرة حصل نتانياهو على ٧٤٪ بينما حصل بيريز على ٢٤٪ فقط.

إن سكان بلدتى نيتفوت وأوفاكيم وأمثالهما من مدن التنمية التى يسكنها أغلبية من اليهود الشرقيين يتفقون جميعا فى أنهم فقراء ويعتبرون أنفسهم متدينين أو على الأقل تقليديين، وقد صاروا مع أشباههم من الأرثوذكس يكونون قوة سياسية كبيرة تصوت دائماً لصالح اليمين، وواقع الأمر أن نصف يهود إسرائيل من أفراد هذه الأسر اليهودية الشرقية.

أيضـا زادت أهمية هـذا الجمهـور الأرثوذكسى المتزايد بـسبب اشـتراكه المنظم الجماعى فـى الانتخابات، ولذلك فـلا ينبغي أن ننـدهش عندما نرى المرشـح لمنصب رئيس الوزراء يحرص علـى أن يلتقى بزعيم دينى مـثل «بابا سالى» لينال الـبركة على يديه، أو يجتمع بحـاخام الليبوفيتش ويظهر معه فى صورة تـذكارية حتى يعرف ذلك أتباع اللـيبوفيتش الحسـيديم ويترجموا الرسـالة إلى أصوات لصالح المـرشح المرضى عنه، أو يقودوا حملة دعائية لصالحه، وفـى انتخابات ١٩٩٦م كان كلا المرشحين بيريز ونتانياهو حريصين على ذلك.

أيضاً لم يتورع الأرثوذكس أخيرا عن الدخول إلى سـباق انتخابى كانوا يتجاهلونه كنوع من التعالى عـلى مؤسسات الدولة وهو انتخاب الحاخامين الـكبيرين لإسرائيل، وصار واضحاً أنهم يستخدمون السياسة ليعـيدوا تشكيل المجتمع حتى لو تتطلب هذا نزولهم من برجهم العاجى أو التخلى عن بعض معتقداتهم.

وجاءت انـتخابـات الدورة الخامـسة عشـرة للكـنيسـت فى نتـائجهـا مثل الـرياح الشـديدة التـى أسقطـت نتانـياهو مـن فوق ظهـر الحصان بـعنف لأنـه صار فى نـظر الكثيرين من مؤيديه الدينيين فاجراً لا يتحلى بالأخلاق ولا يمثل اليهودى الذى يستقى أخلاقه من الشـريعة، أيضاً نجح مرشح حزب الـعمل فى كسب ود اليهـود الشرقيين باعـتذاراتـه المتتـاليـة وإظهار نـدمه علـى تعـالى حزبـه علـى هؤلاء الفـقراء، وشـعر الإسرائـيليـون المعتدلـون وهم ذاهبـون إلى صنـاديق الانتـخابات أن نتـانياهـو سوف يقودهم إلى حفرة عميقة بسياساته المضللة ونجاحه الكبير فى كسب كراهية كل جيران وأصدقاء إسرائيل، أما علـى مستوى الأحزاب الدينية فلم يتغير الوضـع كثيرا وتقريباً حصلت على نفس المقاعد وخاصة حزب شاس الذى دخل مع رئيس الوزراء الجديد المنتخب إيهود باراك فى عملية مساومة وابتزاز لتشكيل الحكومة .

صـــدام الأصـــولـــيـــات

7

استقطاب العالم المسيحى

دار الخيّـــال

تسمين الخروف اليهودى

في عام ١٩٨٠ أصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارا يقضى بتوحيد شطرى مدينة القدس (كانت من قبل مقسمة إلى شطرين قديم وجديد)، أيضاً يقضى القرار بإعلان القدس عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل.

لقد سبق تاريخ طويل من التمهيد والعمل للوصول إلى إصدار مثل هذا القرار الذى كان لابد أن يصدم مشاعر المسلمين فى كل أنحاء العالم صدمة كبيرة، لكن يبدو أن المسلمين لم يأخذوا الأمر ـ حتى الآن ـ مأخذ الجد.

كانت إسرائيل قد احتلت جزءاً كبيراً من المدينة قبل عام ٦٧ بينما احتفظت الأردن بالجزء الشرقى منها تحت سيادتها، وبعد ساعات قليلة من اندلاع حرب ٥ يونيو ٦٧ استطاعت القوات الإسرائيلية أن تحتل كامل المدينة، ومنذ اللحظة الأولى لهذا الاحتلال بدأت الحكومة الإسرائيلية فى تنفيذ مشروعين أحدهما عاجل والآخر طويل المدى والاثنان يهدفان إلى تهويد المدينة. أيضاً اتخذت الحكومة الإسرائيلية من التدابير القمعية والتدابير القانونية ما يكفل إخراج أو على الأصح طرد العرب من القدس ليحل محلهم اليهود.

وبدأت الكفة تميل ديموجرافيا لصالح اليهود وبالذات المتدينون الذين زادوا فى

المدينة إلى درجة أن اليهود المعتدلين صاروا الآن يتركون القدس مأوى لخفافيش الأرثوذكسية لأنهم لم يعودوا يطيقون جيرتهم.

ونعود للعام ١٩٨٠ الذى صدر فيه قرار الحكومة الإسرائيلية بتوحيد القدس واعتبارها عاصمة إسرائيل الأبدية، لقد رد على هذا القرار ثلاث عشرة دولة قررت نقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب إشارة إلى رفضهم هذا القرار، وعلى الفور فى نفس العام تحرك أصدقاء إسرائيل من الصهيونيين المسيحيين مدفوعين (أو بمبادرة ذاتية)، المهم أنهم كونوا هيئة لتكريس وترويج قرار الحكومة الإسرائيلية، وأطلقوا على هذه الهيئة اسم: منظمة السفارة المسيحية الدولية"٩٨" .. ولأجل هذا الغرض الأخير اجتمع ـ فى القدس ـ ألف رجل دين مسيحى يمثلون كنائس ٢٣ دولة تؤمن هذه الكنائس بالعقيدة المسيحية الصهيونية، وانتخبوا مسيحياً يؤمن إيماناً متطرفاً بهذه العقيدة اسمه جان فان ديرهوفين رئيساً للمنظمة التى خرج بيانها الأول كأنه قصيدة حب ورباط أبدى مع إسرائيل حيث يقول:

«إن الله وحده هو الذى أنشأ هذه السفارة الدولية فى الساعات الحرجة من أجل تحقيق راحة صهيون واستجابة حب جديد لإسرائيل» (!!)

وبعد خمس سنوات من تاريخ هذا البيان عاد رجال المنظمة للاجتماع فى بال بسويسرا وكان لمكان وزمان اجتماعهم هذا مغزى رمزى، حيث تم الاجتماع فى ذات المدينة التى انعقد فيها المؤتمر الصهيونى الأول قبل ذلك بما يقرب من ٨٨ سنة "٩٩".

وعن هذا الاجتماع الأخير صدر أربعة عشر قرارا أعتقد أنها أخطر ألف مرة من قرارات حكماء صهيون المزورة التى تؤرق العقليات التافهة، تلك التى تعنى بالألفاظ الدرامية الإنشائية الرنانة غافلة عن القرارات العملية الهادئة التى يتم تنفيذها على أرض الواقع.

كانت قرارات اجتماع منظمة السفارة المسيحية سنة ١٩٨٥م عبارة عن برنامج عمل قابل للتطبيق، يترجم عقائد وأفكاراً يمكن تنفيذها لأنها لا تحلق فى سماوات الخيال الدرامى، وملخص تلك القرارات أنها تدعو لتسهيل هجرة اليهود السوفييت

إلى إسرائيل، ومطالبة الغرب الأوروبى بالضغط على روسيا فى هذا الاتجاه، أيضاً دعوة إسرائيل للمشاركة فى كل الهيئات والمؤسسات الدولية، كذلك دعوة الأمم للاعتراف بإسرائيل وخاصة (الفاتيكان)، والدعوة لترسيخ استيطان الأراضى الفلسطينية خاصة فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ومخاطبة المسيحيين الموجودين فى فلسطين لدعم هذا الاتجاه مع دعوة الجميع للاعتراف بالقدس عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل، ودعوة الدول التى نقلت سفاراتها من القدس (عقب قرار الحكومة الإسرائيلية بجعلها عاصمة لإسرائيل) بالعودة إليها، مع وقف تزويد أى عدو لإسرائيل - حتى ولو كان عدوا محتملا - بالأسلحة، ومطالبة كل دول العالم بنبذ منظمة التحرير الفلسطينية وعدم تقديم أى عون لها بداية من الاعتراف بها أو بالمنظمات التابعة لها، وإدانة كل أشكال معاداة السامية، أيضاً تحريك عقدة الاضطهاد المسيحى لليهود وتحميل المسيحية ذنوباً لم ترتكبها، والعمل على توطين اللاجئين العرب الذين تركوا إسرائيل عام ١٩٤٨ فى البلدان التى هاجروا إليها (حتى لا يفكروا فى العودة إلى فلسطين)، ومساعدة إسرائيل اقتصادياً بإنشاء صندوق استثمار دولى برأس مال قدره مائة مليون دولار للاستثمار فى تطوير إسرائيل، كما أعلن المؤتمر عن التزام أعضائه بالعمل على تشجيع استيراد وشراء البضائع الإسرائيلية وفى نفس الوقت مطالبة كل المسيحيين وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل، ودعوة مجلس الكنائس العالمى بجنيف للاعتراف بالصلة التوراتية التى تربط بين الشعب اليهودى وأرضه الموعودة وكذلك بالبعد التوراتى والنبوئى لإسرائيل!!

أما على مستوى السياسة البحتة فهناك جمعيات عديدة تعمل فى نفس الاتجاه الداعم لإسرائيل، وخير مثال عليها جمعية «الأمريكيون من أجل إسرائيل آمنة» AMIRCAN for save Israel وهذه الجمعية توجه نشاطها منذ ٢٥ عاماً نحو صانعى القرار العام فى أمريكا وأعضاء الكونجرس، وهدفها الاستراتيجى هو إقناع كل الأمريكيين المهتمين بحيوية دور إسرائيل فى الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة، ومنذ توقيع اتفاقية أوسلو بين إسرائيل والفلسطينيين تركز نشاط هذه الحركة الصهيونية على محاربة عملية السلام.

يصف ديفيد إيزاك أحد مسئولى هذه الحركة الأهداف الجديدة لجمعيتهم قائلاً: «اليوم لم يعد يكفى تأييد إسرائيل بإعطاء صوت فى الكونجرس، فنحن نريد أن يتم دعم إسرائيل على المستوى الاستراتيجى وعلى المستوى الأخلاقى والتوراتى، ولو استطعنا إفهام أعضاء الكونجرس أنهم لا يدافعون عن مجرد إعانات مالية وإنما عن حقوق دولة فإن ارتباطهم سيصبح أكثر عمقا بقضية إسرائيل».

وهذه الفكرة تجد تجاوباً من أعضاء الكونجرس المسيحيين المتدينين، وهى فى نفس الوقت إحدى الوسائل التى تستخدمها الصهيونية لتشجيع اليهود على البقاء فى أرض إسرائيل.

ومع إدراك هذه الحقيقة لابد أن يخالطنا شعور بالدهشة من قوة هذا الدعم وتنوعه على كل المستويات وإظهار كل هذا الانتماء والحب لإسرائيل وترجمة ذلك إلى برامج عمل، ولابد أننا سألنا أنفسنا عن الأسباب المحركة لهذا الحب، أو أسباب تسمين بعض المسيحيين لخراف اليهودية التى تنتفخ يوما بعد آخر حتى تكاد تتحول إلى أفيال.

بالطبع هذه الأسئلة لها إجابات، لكننى أرى أنه لا داعى للعجلة فى الإجابة عنها قبل أن نقلّب القضية على كافة وجوهها.

ونعود لباقى مظاهر الدعم والمساندة التى يوليها تيار المسيحية الإنجيلية لدولة إسرائيل، فمنظمة السفارة المسيحية الدولية ليست المؤسسة المسيحية الصهيونية الوحيدة التى تدعم الاتجاه العقائدى الأصولى المتنامى بين أوساط الكنيسة البروتستانتية والإنجيلية الأمريكية فى الولايات المتحدة، فمن عباءة هاتين الكنيستين خرجت أكثر من مائتى طائفة تتبنى هذه العقيدة، أكثر هذه الطوائف مغالاة هى الطائفة التدبيرية التى يتبع كنائسها ٤٠ مليون شخص تقريباً "١٠٠"، ويعرف هؤلاء الأتباع باسم «الانكلوساكسون البروتستانت البيض»، وتضم هذه الكنائس الشخصيات الأبرز فى المجتمع الأمريكى سياسياً واقتصادياً وإعلاميا، حيث يصنف تحت هذا التوجه لهذه الكنائس عددا من القساوسة الإعلاميين التليفزيونيين أبرزهم بات روبنسون الذى فكر فى ترشيح نفسه رئيساً للولايات المتحدة فى انتخابات عام

١٩٨٨، وهناك أيضاً جيم باكر الذى يعتقد كجميع التدبيريين أنهم لابد أن يخوضوا حربا رهيبة من أجل فتح الطريق أمام المجيء الثانى للمسيح، وكينيث كويلاند الذى يؤمن بالتدبيرية ويرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية شيء واحد، وهو دائم التعبير عن حبه لليهود، ليس لأنهم يهود ولكن لأنه مثل باقى التدبيريين يرى فى اليهود الممثلين الذين لابد منهم على مسرح النظام الدينى الذى يقوم على أساس تحقيق المسيحية الكاملة "١٠١"، وإلى الأسماء السابقة نستطيع أن نضيف قائمة أخرى تضم أسماء ريتشارد دى هان وهو ابن قسيس طور الكنيسة التدبيرية أكثر من أى قسيس آخر، وجيرى فولويل أكثر إنجيلى التليفزيون سياسة، ومؤسس جامعة حرية «مؤسس الإنجيلية الأخلاقية» الذى يروج لمذهبه ليس فى أمريكا فقط ولكن فى العالم كله عن طريق تمويل مِنح لطلاب أجانب حددوا لأنفسهم هدفا عند العودة لبلادهم هو إنشاء هيكليات تماثل جامعة حرية (فى بلادهم الأصلية)، تلك الجامعة التى تخرج بشكل دورى آلاف الوعاظ والرجال الذين يجيدون تأويل الأحداث الجارية فى العالم وأمريكا من أزمات اجتماعية واقتصادية على أنها علامات تحقق سيناريو الكارثة القادمة والتى سببها عصيان الناس لله وابتعادهم عن يسوع المسيح.

وعلى سبيل التذكير نضم أيضاً للقائمة أسماء جيم روبنسون وجيمى سوجارت وروبرت شوللر.

وقبل أن نخوض فى نشاط الأصولية المسيحية أو المسيحية الإنجيلية فى أمريكا، نعود فى التاريخ قليلا إلى بداية هذا القرن، على الرغم من أن هذه البداية ستجعلنا نتجاوز تاريخا طويلا ربما يمتد إلى الهجرات الأوروبية الأولى للقارة المجهولة (فى ذلك الوقت) أمريكا، وربما أيضاً يمتد هذا التاريخ إلى حركة الإصلاح الدينى التى بدأت فى الثلث الأول للقرن السادس عشر على يد مارتن لوثر، فمن خلال حركة الإصلاح تلك تسربت الأدبيات اليهودية إلى العقيدة المسيحية وبدأ التهويد من خلال البروتستانتية أولاً ثم بعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية، بينما تمسكت الكنيسة الكاثوليكية باعتقادها أن ما يسمى بالأمة اليهودية شيء لم يعد له وجود.

ومرة أخرى نتجاوز أوراق التاريخ الصفراء بعد أن أخذنا منها لمحة سريعة عن كيفية تسرب الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة لبعض الطوائف المسيحية، لنصل إلى الثلاثينيات من القرن العشرين (كان مصطلح الأصولية قد ذاع واشتهر خارجا من الوسط المسيحى البروتستانتى)، وكان المجتمع الأمريكى يمر بأزمة عميقة وضعت حضارة الشمال الأمريكى بحداثتها وتقدمها موضع اتهام عميق. واستغل الأصوليون المسيحيون هذه الأزمة فجعلوها آية ودليلا على عقاب انتقامى من الله يجازى به أمريكا على ارتدادها، وإعلانا بقرب عودة المسيح وظهوره، وهذه القدرة التى يملكها الأصوليون على إدراج أحداث العالم كأسباب تخضع لمشيئة الله، تلك المشيئة التى يحتفظون دائماً لأنفسهم بحق تأويلها وتفسيرها، وعلى هذا الأساس السابق يستخلص هؤلاء الأصوليون من كل الأزمات التى عاشها وسوف يعيشها المجتمع الأمريكى حججًا يشخصون بها الداء (البعد عن الله) ويعرضون الدواء (الفداء بعودة المسيح).

زمن الإنجيليين

هناك خطأ يقع فيه كثير من الكتّاب ويتسبب عنه كثير من الخلط فى أذهانهم وأذهان القراء، هذا الخطأ هو عدم التفرقة بين البروتستانتية والإنجيلية واعتبارهما طائفة واحدة، لكن الحقيقة غير ذلك، وإن كانت الأخيرة قد خرجت من عباءة الأولى، وتاريخياً يرجع الأمر إلى منتصف القرن العشرين تقريباً، فحول هذا التاريخ اقترنت الأصولية فى أمريكا بالتيارات الأكثر رجعية، وفى هذا السياق ابتدع بعض اللاهوتيين ـ المؤمنين بعصمة الكتاب المقدس من جهة والمحرجين من جهة ثانية بالعلاقات بين الأصولية وأقصى اليمين ـ مصطلح «إنجيليين»، وقصد أصحاب هذا المصطلح أن يكون توجههم مجرد رسالة دينية اجتماعية قبل أى شىء، وهو بالفعل ظل هكذا حتى منتصف السبعينيات عندما دخلت عليه المقالات والعمل السياسى.

عارض الإنجيليون فى العالم البروتستانتى الأمريكى التسميات التى يطلق عليها وصف الليبرالية وشددوا على التقوى الشخصية والموضوعات الخلقية المستمدة حرفياً من النصوص المقدسة فى حين كانت الرغبة فى المشاركة فى النشاط الاجتماعى (الحضور فى العالم) أوضح وأصرح لدى البروتستانت الليبراليين.

ومنذ تاريخ الحرب العالمية الثانية وحتى عقد الثمانينيات كانت البروتستانتية الليبرالية تمثل دين ثراء يبرر التمتع بالازدهار الأمريكى، وكان هؤلاء المؤمنون يبحثون فى التدين عن وسيلة تبرز رضاءهم عن أنفسهم وتبارك نمط معيشتهم.

ومنذ الستينيات بدأت البروتستانتية تنظر إلى فقراء أمريكا وسكان الجيتويات والأقليات وعملت معظم الكنائس البروتستانتية أن تكون حاضرة فى العالم وأن تحمل إليه شهادة المسيح مبرزة موضوعات العدالة الاجتماعية.

وفى المقابل أثارت هذه الظاهرة معارضة التيارات الإنجيلية لأنها تُمارس على حساب البحث عن الخلاص والسعى إلى العالم الآخر.

ويرى بعض المحللين أن ميل الكنائس الليبرالية إلى المسألة الاجتماعية سبب لأفول نجمها وتراجعها وأيضاً سبب للتوسع الإنجيلى منذ السبعينيات، وكنتيجة لذلك انخفضت أعداد الكنائس الليبرالية واستدار كثير منها نحو الكنائس الإنجيلية وطال هذا النفور عشرة من أهم الملل والطوائف، منها على سبيل المثال وليس الحصر: اللوثريون والأسقفيون والمنهجيون والمشيخيون والأبرشانيون «١٠٢».

أيضاً فى هذا التاريخ السابق بدأت الإنجيلية التى تتوجه نحو الخلاص الشخصى والعالم الآخر تتغلغل فى الكاثوليكية الأمريكية عبر معاودة التنصير (من تحت) وعلى أساس انتشار عدد من «حركات التجدد» فى أوروبا ابتداء من عام ١٩٧٥، وخلال ثلاث سنوات بلغ عدد أعضاء مجموعات الصلاة المنخرطة فى هذا التيار حوالى ٦٠٠ ألف عضو، وغدت ظاهرتهم بادية للعيان وموازية لمنظور الإنجيليين، فالكاثوليك الذين انتموا لهذا التيار رأوا أن كنيستهم الكاثوليكية قد أضعفتها العدوى التى انتقلت إليها من آفات المجتمع بدلا من أن تعالج هى هذه الآفات، وإن إلهام الروح القدس هو وحده الذى جعلهم يعودون إلى الينابيع من أجل تكوين طائفة مسيحية حقيقية وسط المجتمع العلمانى.

وظلت تـوجهات هذه الحركات كـلها مقصورة عـلى المجال الاجتماعـى لا تبدى طموحـات سياسية إلى أن تم انـتخاب المعمدانـى (المولود ثانيـة) چيمى كارتر رئـيساً للولايات المتحدة، وحينئذ تبين للجميـع أن لهؤلاء الإنجيليين طموحات تتعلق بالدولة نفسها، وهذا ما حدا بمجلتى التايم والنيوزويك إلى اعتبار عام ١٩٧٦ عاماً للإنجيليين.

وإذا كان انتخاب كارتر ارتبط بالانبعاث الأخلاقى، ففى مرحلة تالية ومع انتخاب رونالد ريـجان رئيسـاً للولايات المتـحدة سنة ١٩٨٠ثم إعـادة انتخابـه ١٩٨٤ تحولت الإشارات عبر مجموعات ضاغطة عديدة (بالإضافة إلى أغلبية القس جيرى فولويل) إلى هدف حقيقى هـو السعى للتأثير على القرارات السياسية من أجل معاودة تنصير أمريكـا، ومنذ هذا التـاريخ بدأ تداخـل مصطلحـى الإنجيلية والأصـولية الأمريـكية، ومعها بدأ أيضاً التأثير المتزايد لأنصار «معاودة التنصير من فوق».

إن ظاهرة نهـضة الإنجيليين الـسياسية فى أمريـكا اعتبارا من منـتصف السبعـينيات تسجل منعطفا لاهوتيًا لمسيحيى أمريكا وأيضاً تعرب عن رهانات سياسية ثقافية تترجم نمط انخراط الإنجيليين الجدد فى المجتمع ككل.

أما المنعطف اللاهوتى فنلخصه فى أن جمـهور الإنجيليين حتى أواسط السبعينيات يعتـبر مجتـمع (ما قبـل المهدوى)، أى أنهـم يعتقـدون بأن الأمور محـكومة ـ الآن ـ بالـتردى والسوء الـذى يزداد بلا نـهاية علـى الأرض إلى أن يأتـى المسيـح فيصطـفى مختاريه ويأخـذهم من الدنيا ليعود وإياهـم مرة أخرى ليبنوا ملكوت الـسماء فى هذا العالـم، وهذا المعتقـد نفسه يـوازى معتقدا آخـر هو ربط عودة اليـهود إلى فلـسطين بالمجىء الـثانى للـمسيح، ومـن هنا تلتـقى اليهـودية مع معـتقدات هؤلاء الأصـوليين الإنجيليين فى الاتفاق على أن هناك ثلاثة مشاهد لابد أن تتحقق حتى تصل الرواية إلى الذروة ولا مانع بعد ذلـك فى اختلاف الطرفين على تفاصـيل أحداث تلك الذروة، وهذه المشـاهد حسب ترتيـبها تكـون كالتالـى: أولاً قيام إسـرائيل. ثـم احتلال مديـنة القدس. وأخيرا بناء هيكل سليمان.

فإذا كانت الإشارة الأولى قـد تحققت سنة ١٩٤٨م والثانية تحققـت عقـب حـرب ٥ يونيه ١٩٦٧م فإن هناك خطوات حثيثة لتحقيق الإشارة الثالثة، وبعد اكتمال المشاهد

أو اكتمال المشروع ستقع هرمجدون التى يعتقد الإنجيليون المتهودون أنها ستقع فى سهل مجدو بالقدس وعكا وأن التنبؤ بها ورد فى أسفار حزقيال ويوشع والرؤيا، وتفسيرها طبقاً لوجهة نظرهم أن قوات الكفار من المسلمين والملحدين سوف يتم تدميرها إلى أن يظهر المسيح فوق أرض المعركة ويرفع بالجسد المؤمنين به ويخلصهم من الدمار، ومن ثم يحكم العالم مدة ألف عام حتى تقوم الساعة «١٠٣».

الاتجاهات المضادة

الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ترفض التفسير الحرفى لسفر الرؤيا، ويدرك رجالها والقائمون عليها - بوعى - اللعبة السياسية اليهودية التى دعمت دائماً تسرب فكرة الألفية للأدبيات المسيحية.

ويعتقد اللاهوت المسيحى الأرثوذكسى أن ملكوت الله ليس مادياً، كما أن بناء الهيكل هو معارضة صارخة لسر الفداء الذى تؤمن به المسيحية، ورجوع إلى الأركان الضعيفة التى قضى الرب عليها كظل من ظلال الناموس القديم تلك التى عتقت وشاخت وقُضى عليها بالفناء والاضمحلال «١٠٤».

أما عن بناء المذبح وتقديم اليهود المعاصرين للذبائح وبقاء الهيكل ألف سنة فكلها أفكار تناهض ذبيحة المسيح الكفارية وتتعارض مع المسيحية«١٠٥».

أكثر من ذلك فمن داخل الكنيسة الإنجيلية نفسها هناك صوت يعارض الأفكار الصهيونية المسيحية، ويدرك أن فى الأمر ثمة لعبة سياسية، وأهم قاعدة لهذه المعارضة تتمثل فى المجلس الوطنى لكنائس المسيح «١٠٦»، هذا المجلس الذى يضم ٣٤ طائفة يبلغ عدد أتباعها نحو ٤٠ مليونا، وتصدر عنه عدة مجلات شهرية والمجلس وإصداراته يستقطبان الإنجيليين الليبراليين الذين يرفضون التفسير الحرفى للكتاب المقدس، أيضاً من الكنائس الإنجيلية المتعاطفة مع هذا الخط، ولو بنسب متفاوتة هناك الكنيسة المشيخية والكنيسة المنهجية والكنيسة المعمدانية والكنيسة الأسقفية «١٠٧» ويبقى بعد ذلك موقف الكنيسة الكاثوليكية على المستوى الرسمى (البابا والفاتيكان)

والذى تحاول الصهيـونية دائماً اختراقه على عـدة محاور وبأكثر من وسيلة مـنها مثلاً الابتزاز الـصريح، وكمـثال واحد واضح عـلى ذلك ما حـدث سنة ١٩٩٧م وطيـرته وكالات الأنباء عن مطالبة منظمة يهودية للفاتيكان بفتح ملفاته السرية وكشف النقاب عما وصفـته تلك المنظمـة بالكنوز والأموال التى انـتزعت من اليهود الـكروات على أيدي القوات الصربية، وانتقلت فى مرحلـة لاحقة إلى السلطات النـازية ثم سُرقت بواسطة رئيس جمـهورية كرواتيا فى ذلك الوقت وفر بها إلى الـفاتيكان سنة ١٩٤٦، وقدرت المنظمـة أن المبالغ المطلوبة هـى حصيلة الأموال المسروقـة من نحو ٩٠٠ ألف يهودى (لاحظ الـعدد الضخم) يمثلـون غجر البلقان كانـت أموالهم تساوى ما قيمته ٣٥٠ مليون فرنك سويسرى فى ذلك الزمن.. ياترى كم تساوى الآن؟!!.

وهكذا يعـاقب اليهود الفـاتيكان على مـوقفه تجاه قضيـة فلسطين منـذ أن اعترض البابا بيوس العاشر سنة ١٩٠٤ على الحركة الصـهيونية وهجرة اليهود إلى فلسطين ثم اعتراض الكـنيسة الكاثولـيكية على وعد بـلفور عام ١٩١٧ وزيادة هجرة الـيهود إلى فلسطين.

من جانبه فإن بابا الفاتيكان الحالـى الذى وصل إلى كرسي البابوية منذ عام ١٩٨٢ تحت اسم يوحـنا بولس الثانـى، وهو من أصل بولنـدى واسمه وتيلا، حاول اسـتمالة اليهود وإسرائيـل سياسياً، وقيل أن السبب هـو ضمان حقوق الطوائف المسيـحية التى تعيـش فى إسرائيل وهـو سبب واه، وفى عـهد البابا الحـالى أصدر الفاتـيكان وثيـقته الشهيرة الـتى تبرىء اليهود من دم المسيـح وتعترف بأصوله اليهوديـة، أيضاً صدر فى مارس سنة ١٩٩٨م وثيقة أخـرى تحت عنوان «نحن نتذكر» يعتذر فيهـا الفاتيكان عن الأخطاء التى ارتكبها بعض المسيحيين وكـانت السبب وراء ما ادعاه اليهود بتعرضهم للمذابح على يد الـنازية إبان الحرب العالمية الثانية، لكن اليـهود وكخطوة أخرى على طريق الابتـزاز أعلنوا عن اعتراضهـم وعدم رضائهم على الـوثيقة وصيغتهـا وطالبوا الفاتيكان بأن يعلن بشكل صريح عن إدانته لـلبابا بيو الثانى عشر الذى اعتلى الكرسى البابوى خلال المدة مـن سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥٨ واصفين موقفـه تجاه تلك المذابح بالسلبية واللامبالاة (!!).

وكخطوة علـى الطريق المضـاد وحتى لا يفقد الـفاتيكان احتـرامه كمؤسسة ديـنية كبيرة أمام الضمير العام العالمى بعامة وضمير المسيحية بخاصة، حرص الفاتيكان على أن يجدد إعلان مواقفه من مدينة القدس كلما سنحت الفرصة لذلك، كما حدث فى شهر أكتوبر سنة ١٩٩٨ عندما أعلن كبير أسـاقفة الفاتيكان ووزير خارجيتها جان لوى توران خلال زيارته للقـدس وافتتاحه مؤتمر رؤساء المجالس الأسقفـية الخاص بمناقشة وضع المدينة، وفى كلمـته التى تناولت بالتفصيل موقف الكـرسى الرسولى بشأن حل مشكـلة القدس أوضـح الكردينال أن الـفاتيكان لا يـهتم فقـط بالبعد الـدينى لقـضية القدس لكنه يهتم أيـضاً بالبعد السياسى للقضية، كذلك أعرب عـن مساندة الفاتيكان للحقوق المـشروعة للشعب الفـلسطينى وأكد علـى أن أية تسوية لقضيـة هذا الشعب لابد أن تضمن حقوقه وتكون تسوية عادلة.

قال الكرديـنال أيضاً إن الفاتيـكان يرى ضرورة الحفاظ عـلى طابع المدينة وهـويتها بكل ما تـتضمنه تلـك الهوية من أبعـاد وبالتالى فإن مـبدأ مثل عدم خضـوع أو إعفاء الأماكن المقدسة من القـوانين المحلية أو السيادة الإسرائيلية لا يمكـن اعتباره حلا كافياً على اعتبار أن الـطابع المقدس لتلك الأماكن يمـتد ليشمل كامل نطاق المـدينة، بكل ما تتضمـنه من أماكن مقدسة، وأنـشطة دينية وغير ديـنية لمختلف الجماعـات والطوائف التى تعيش فيها.

وهكذا يـحاول الفاتـيكان أن يلـعب سياسة وأن يمـسك العصـا من المنتـصف فلا يغضب اليهود المغتصبين أو العرب المغتَصَبين.

لكن من التبسيط المخل للأمور أن نصور الغرب علـى أنه الكنيسة الكاثوليكية فقط أو نصور أمريكا عـلى أنها الكنيسة الإنجيليـة أو البروتستانتية فقط. وإنمـا كان التركيز على مـحاولات اختراق الـيهودية لهـذه المؤسسات الـدينية سابـقة الذكر، وتـسريب أدبيات دينية معينة لتخالط عقائـد أتباعها، لأن من بين هؤلاء الأتباع سيخرج اللاعبون الأساسـيون علـى مسرح الأحـداث، أو لنقـل أن من بين هـؤلاء من سيـطور العـمل الدرامى ليدفع به إلى الذروة.

لكن ثمة تدخلات أخرى سوف تؤثر إلى حـد كبير فى سير الأمور وسوف تدعم

الاتجاهات أو تعاكسها، من هذه التدخلات آراء هذا القطيع الكبير من الأوروبيين والأمريكيين والشعوب الأخرى الذين لا يبنون اتجاهاتهم على عقائد دينية، ولكن على أفكار عقلانية تغذيها أحياناً مشاعر وجدانية يتدخل فيها الدس والغش والغرض، وكمثال صارخ على ذلك هو تقديم وسائل الإعلام الغربي لصورة اليهودى الإيجابي الصديق فى مقابل تقديم صورة الإسلام العدو والمسلم الإرهابى والهوة تتسع باطراد بين الصورتين لأن العمل يسير فى اتجاهين متضادين هما تدعيم الصورة الأولى إيجابياً وترسيخ الصورة الثانية سلبياً.

وفى وسائل الإعلام الغربى تنتشر على فترات هيستريا الخطر الإسلامى «١٠٨» تلك التى أدت إلى انتشار خوف لاعقلانى من الإسلام، ومن العرب بالتحديد، علاوة على الخوف من فقر دول العالم الثالث، واختلط ذلك كله بمشاعر عنصرية عدوانية تجاه الأجانب بدرجة كبيرة خاصة فى دول مثل ألمانيا، مما يعنى أن صيغة العدو قد اكتملت وتوغلت فى نفوس الشعوب الأوروبية.

ثمة أسباب أخرى ترشح الإسلام لاعتلاء منصة العدو ـ الخالية الآن ـ أهمها أنه يمثل بديلا جذاباً عن العدو التقليدى القديم الذى انهار مؤخرا (الاتحاد السوفييتى والشيوعية)، لأن القوى الغربية تحتاج إلى أساس وادعاء مقبول فى بسط سيطرتها وسيادتها على مناطق عديدة في العالم وتحتاج إلى عدو ذى عقيدة يسعى لنشرها.

لكن هذا الأمر أيضاً يمثل إشكالية كبيرة بالنسبة للغرب، فمن الصعب عليه أن يجاهر بحرب صليبية ضد الإسلام، مما سيؤدى إلى مشاكل معقدة قد تصل إلى الصدام وربما فقد تحالفات مهمة فى منطقة الشرق الأوسط، وبالتالى فالمصالح السياسية ستحدد فى المستقبل القريب موقف الغرب تجاه الحكومات والحركات الإسلامية «١٠٩».

أيضاً من الأسباب أو الاعتبارات التى لابد أن نضعها فى حساباتنا عندما نبحث عن أسباب رسوخ صورة الإسلام ـ العدو ـ فى الوجدان الأوروبى هو اتخاذ صورة الإسلام والشرق كدليل حى على تمدين الغرب، وتفتحه وعقلانيته، أى أن الأمر

يتعلق بمحاولة إثبات الهوية حيث تعرضت الحضارة الغربية لعدة انتكاسات شديدة تتمثل فى العنصرية (ظهور النازية الجديدة والسيتالينية) والحرب العنصرية (كما فى البلقان) أو الحرب الأهلية (كما فى إيرلندا)، ونستطيع أن نضيف إلى ما سبق أيضاً الاضطهاد الدينى وأشد صور الوحشية وانتهاك حقوق الإنسان.

وبعد.. فالتدخلات السابقة سوف تؤثر حتما فى المواجهة بين الصهيونية فى شتى صورها وعدوها الأول الإسلام سواء بالإضافة أو الخصم لكل جانب، وإذا كانت اليهودية تكسب أرضاً واسعة كل يوم باستقطاب العالم الغربى تجاهها فإن الإسلام ـ دون دعم من أهله بل على العكس إعاقة ـ أحياناً ما يخترق كل السدود ويصل إلى بعض العقول الأوروبية والغربية فيجدون فيه ضالتهم المنشودة وروحهم الهاربة، الأمر فقط عند الجانب الإسلامى يتطلب إصلاح بيتهم من الداخل واستغلال ثورة الإعلام والتكنولوجيا فى الدعوة لرسالة الإسلام النقية.

صدام الأصوليات

8

السيناريو البديل ليوم القيامة

دار الخيّال

الانفجار

يحمل لنا المشهد التاريخى - الآن - لوحة مضطربة تظهر فيها الأصوليات الدينية كبديل عن الأيدلويوچيات العلمانية التى انهارت على أثر فشلها، وهناك سوء فهم وخلط يجعل الكثيرين يساوون فى التوجهات والأهداف الأخيرة للأصوليات الثلاثة فى الديانات الكتابية منطلقين فى ذلك من تشابه فى أسلوب عمل بعض غلاة المؤمنين فى هذه الأصوليات الثلاثة يتمثل فى أن بعضا من هؤلاء المؤمنين يحاولون إيجاد مشاريع لتغيير النظم الاجتماعية السائدة فى بيئاتهم لجعلها تتوافق مع الأوامر أو القيم التى يؤمنون أنها نزلت مع الكتب السماوية (الشريعة كما يرونها فى التوراة أو الإنجيل أو القرآن).

فإذا صدقت المقولة السابقة إلى حد كبير على الأصوليتين - الإسلامية والمسيحية - فهى تحتاج إلى فحص دقيق فيما يتعلق بالأصولية اليهودية حيث يتعدى طموحها المشروع الاجتماعى ليصير هذا المشروع مجرد معبر أو وسيلة لهدف آخر هو المملكة اليهودية.

وكما سبق أن أوضحنا فالأصولية اليهودية تنقسم إلى أصولية صهيونية تؤمن بأن وجود إسرائيل بوضعها الراهن هو تمهيد لمجىء المسيح وتحقيق الدولة الدينية الكاملة،

أما الوجه الآخر فيتمثل فى تلك الأصولية التى ترفض وجود الدولة فى شكلها الحالى انتظارا لمجىء المسيح ليوجد المملكة كما أرادها الرب.

إذن فالخلاف ليس خلافا إيديولوچيا بقدر ما هو خلاف على التفاصيل، فالهدف فى الحالتين هو مجىء المسيح لإعلان دولة الرب، ثمة خلاف آخر وإن كانت حدوده ليست قاطعة بل متداخلة أحياناً كثيرة، وهو أن الأصوليين الصهيونيين يكافحون فى اتجاهين، فى الداخل لفرض الشريعة تمهيداً لتهيئة الأرض لقدوم المخلّص، وفى الخارج للمحافظة على حدود الدولة القومية وتوسيعها وصولا للحدود التوراتية، أما الأصوليون اللاصهيونيون فيتركز اهتمامهم الأول على محاربة الوضع القائم والبحث عن مخرج أو حل إلهى تنهار فيه الدولة المؤسسة بيد الإنسان لتحل محلها الدولة التى سوف تؤسسها يد الرب.

ومع الوقت فإن مساحة الأرض المشتركة بين الأصوليتين تزداد ويزداد معها خطورة الأمر، فالجميع مقتنع بقرب قدوم المسيح المنتظر وماعدا حاسيدى ساتمار وجماعة ناطورى كارتا اللذين يرفضان أى حل دنيوى فإن كل التناقضات الظاهرة بين الأصوليتين (الصهيونية واللاصهيونية) سوف يتم إيجاد حل وتبرير لها حتى تتم تهيئة العالم والأرض المقدسة لاستقبال مبعوث الله.

إن كل الخيوط المتعرجة تلتقى، وعلى عكس المتوقع فإن فلسفة الجيتو تجد من الأسهل لها الاستمرار فى إسرائيل، فالأصوليون اليهود مقتنعون بأن اليهودية خارج إسرائيل سوف تندثر تحت تأثير الاندماج ومعاداة السامية، وأنه لن يبقى سوى بعض الجزر المنعزلة، وإن من واجبهم أن يحافظوا على النقاء اليهودى، وألا يسمحوا لأية قوة بأن تقف عقبة فى طريق عودة المسيح.

وربما يجب علينا أن نذكّر الآن مرة أخرى وأخيرة بنظرة الشريعة الإسلامية للآخر وبالتحديد للكتابى (اليهودى والمسيحى)، ففى الشريعة الإسلامية لم يكن الكتابى ـ أبدا ـ هدفا فى حد ذاته وفى التاريخ الإسلامى الأول لم يكن اليهودى بالتحديد هدفا للجهاد، حتى حروب رسول الإسلام ﷺ ضد اليهود كانت على سبيل ردود الأفعال لخياناتهم أو نقضهم لمواثيق السلم وحسن الجوار، وكان لزاما لحماية الكيان الإسلامى

الناشىء اتخاذ موقف تجاههم، ولم يكن هذا الموقف موجها إليهم بصفتهم الدينية، وكدليل على ذلك أن رسول الإسلام ﷺ لم يحاربهم جملة لأنهم يهود، ولكنه تعامل معهم على أنهم قبائل مثل قبائل العرب المنتشرة فى جزيرة العرب إبان هذا العهد.

وبعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من هذا التاريخ تجيء اليهودية وتخلق لنفسها مجالا جديدا للصراع مع الإسلام، فإذا كان الأصوليون الإسلاميون يسعون لخلق نظام اجتماعى يتفق مع قيمهم الإسلامية فقد فرض عليهم اليهود ـ على سبيل رد الفعل أيضاً ـ الجهاد دفاعاً عن مقدساتهم وعن إخوانهم فى الدين، وحيث خلق الصراع السياسى صراعا دينيا موجها ضد شريعة قاسية تفرض على الآخر العنف، لأنها لا تؤمن إلا بالعنف كموروث أصولى مبنيا على أساطير عنصرية، وتأبى هذه الشريعة والمؤمنون بها إلا أن يضعوا ظهر الأغيار ملاصقا للجدار حيث لا يجد هؤلاء الأغيار فرصة واحدة أو خيارا واحدا للنجاة.

وإذا كان الوعى الجمعى الإسلامى يرفض الحكومات الموالية لإسرائيل فعلى العكس ـ تماما ـ نجد هذا الوعى لا يحمل أية ضغينة أو كراهية لشعوب الغرب المسيحى حيث زرع الموروث الدينى فى المسلم أن عقيدة المسيحى تحثه على التسامح والمؤاخاة والعدل، وعلى أثر ذلك فقد انسحب من هذا الوجدان الجمعى تاريخ العداوة الصليبية بينما حضر فيه ـ منذ بداية الصراع العربى الإسرائيلى فى فلسطين ـ تراث العداوة اليهودية لرسول الإسلام ﷺ والكيد له.. وبعد.. فإن صعود الأرثوذكسية فى إسرائيل ودأب الحاريديم فى إدارة النظام ببراعة لصالحهم ولخدمة أهدافهم على الرغم من تحفظاتهم اللاهوتية على وجود دولة غير مسيحانية، والتقارب الذى يزداد كل يوم بين القوميين والأرثوذكس فى أهدافهم ووسائل تحقيقها، هذا ومع افتراض صعود منطقهم إلى غايته فإنه سوف يقود بالقطع إلى تنفيذ مؤامرة لتفجير مساجد جبل الهيكل فى القدس، وهى نفس المحاولة التى فشلت من قبل مرارا، والتى إن نجحت مستقبلا فإنها سوف تقود بالضرورة إلى المواجهة المحتومة.

وإذا كان اكتشاف المؤامرة أو المخطط الكبير لجوش أمونيم عام ١٩٨٠م؛ قد أعقبه

تراجع من الحركة فقد انتشرت فى المقابل أيديولوچية جوش أمونيم فى الأوساط الحكومية والائتلاف الدينى المحافظ الذى وصل إلى السلطة فى القدس مع انتخابات دورتى ١٩٩٠ و ١٩٩٤، هذا الائتلاف الذى يعتنق الأيديولوچية التى تبنتها جوش أمونيم من قبل.

وعلى الجانب الإسلامى فإن ردة الفعل ستكون عنيفة، وكدليل على ما نقول وعلى سبيل القياس، فإن الصدامات العربية اليهودية الخطيرة التى وقعت فى أكتوبر ١٩٩٠ وراح ضحيتها حوالى ٢٠ قتيلا فلسطينياً فى يوم واحد كان سببها أن فريقا من الأصوليين اليهود أرادوا وضع حجر الأساس للهيكل الثالث «١١١».

وفى سياق الصراع الشرق أوسطى الذى دفعه الغزو العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠م لذروة التوتر فإن أى عمل استفزازى، كان سيقع موضوعه داخل محيط الهيكل ومسجد الصخرة هو عمل كان سيطلق تصعيدا للعنف، يمكن أن يتعمم ليصبح نزاعا دوليا شأن ما كان متأمرو جوش أمونيم يريدون فى مؤامراتهم سنة ١٩٨٤م، مقتنعين أنهم يعملون على إقرار مبدأ إعمال يد الله أو تنفيذ إرادته بالقوة فى هدم المسجد الأقصى لإقامة المعبد مكانه دون انتظار لهبوطه من الجنة إلى الأرض.«١١٢»

السيناريو الآخر

ثمة سيناريو آخر بديل لابد أن ندرجه فى حساباتنا ونظرتنا للأمور ولا يمكن فى نفس الوقت تجاهله أو إغفاله، تنبأت بهذا السيناريو بعض الشخصيات الدينية اليهودية البارزة فى الولايات المتحدة وكذا بعض العلمانيين.. واستشرف هؤلاء وأولئك أن هناك انشقاقاً دينياً كلياً سوف يقع فى المجتمع اليهودى خلال جيل واحد، وكما يعتقدون فإن اليهود غير الأرثوذكس سوف يكفون عن اعتبار أنفسهم يهودا وبالمقابل فإن الحاريديين لن يعودوا يعتبرون هذه النخبة يهودا.

أما داخل العالم الحاريدى نفسه فهناك انقسام حاد وتعصب دينى لا يقتصر على مجرد التصرفات العدوانية المنظمة لفرض الإرهاب، وإنما يبدو أنه شيء يغرس منذ الصغر، ولا يقتصر هذا التعصب على العالم الخارجى لكنه يتفشى وسطهم، فالمدارس الحاخامية الصغيرة تكره بعضها البعض، وتهاجم بعضها البعض بسبب خلافات دينية تافهة، وأحياناً تنفجر الخلافات إلى أعمال عنف مثلما حدث أثناء المعركة الانتخابية عام ١٩٨٤م، كذلك تسود حالة من التنافر داخل أوساط الطوائف الأرثوذكسية.

وإذا نظرنا بشمولية أكثر لخطوط الصراع فسوف نرى دائرة الدينيين تتماس بخشونة مع دائرة العلمانيين أو الاشتراكيين اليساريين، وقد لا يخلو الأمر من نكتة أو دعابة فريدة تدل على نظرة هؤلاء المتدينين لليساريين مثلما حدث فى ٢٠ أكتوبر ١٩٩٨م عندما أذاع راديو الجيش الإسرائيلى تسجيلا صوتيا لأحد الحاخامات وهو يقدم إرشاداته للأزواج فى برنامج: صباح الخير يا إسرائيل ويدعوهم إلى عدم إقامة علاقة جنسية أثناء فترة الحيض أو بعد أسبوع منها لأن ذلك قد يؤدى إلى إنجاب أولاد يساريين، واتهم الحاخام عضوين من أعضاء البرلمان الإسرائيلى (يساريان) بأنهما شريران كبيران لأنهما من أولاد الحيض!! «١١٣»

وصار اليوم الصراع بين العلمانيين والدينيين فى إسرائيل يرمز إليه بمدينتى تل أبيب والقدس، ففى الوقت الذى استطاع فيه الدينيون السيطرة على مدينة القدس تمسك العلمانيون بمدينة تل أبيب كمعقل لهم وتجلى الفرق الواضح كعنوان على الصراع بين المدينتين فى يوم السبت المقدس، يوم عطلة اليهود الدينية، ففى هذا اليوم تجد تل أبيب مفعمة بالحياة ووسائل اللهو والتسلية بينما تقبع أحياء القدس التى يسيطر عليها الأرثوذكس مجللة بالسواد فتبدو مدينة حزينة شبه ميتة«١١٤».

وصراع المجتمع الإسرائيلى الأساسى بين هاتين المدينتين، وما يعكسه كل منهما من واقع مختلف، هو عنوان لحرب ثقافية بدأت بالفعل، إنها حرب على النفوذ وفرض السيطرة تطورت أحياناً إلى اشتباك حقيقى عنيف كما حدث أثناء الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة العيد الخمسين لقيام إسرائيل، وشهدت اشتباكات عنيفة أدت إلى

وقوع قتلى ومصابين من كلا الجانبين، الأمر الذى وصفه عمدة تل أبيب بأنه قد يؤدى إلى وقوع حرب أهلية «١١٥».

إن الصراع بين العلمانيين اليساريين والأرثوذكس المتدينين فى إسرائيل اليوم هو بمثابة الصراع أو الانشقاق الرئيسى الذى تتفرع منه جميع الانشقاقات الأخرى كما يرى د. شلومو بن عامى الأستاذ بجامعة تل أبيب وأحد أعضاء الكنيست فى دورته الرابعة عشرة.

أما دوائر الصراع الأخرى فيلخصها الباحث الإسرائيلى سمحى لانداو فى عدة إطارات أو عناوين رئيسية كالتالى.

ـ صراع اليمين ضد اليسار (عوامل سياسية)

ـ صراع اليهود من أصل شرقى ـ سفارديم ـ ضد اليهود من أصل غربى ـ أشكيناز ـ (عوامل طائفية).

ـ صراع الأغنياء فى مواجهة الجوعى أو الفقراء (صراع طبقى).

هذا علاوة على صراع العلمانيين ضد الدينيين الذى أشرنا له سابقاً، وهذا النموذج للصراع هو الأكثر واقعية وانتشارا بين المحللين والكتّاب، وخاصة الإسرائيليين أنفسهم، ويرى هؤلاء الأخيرون أن الانتخابات التى أتت ببنيامين نتانياهو رئيسا للوزراء كانت تعنى انتصار القدس (الرمز) على تل أبيب.

وإذا كانت تل أبيب هى التجسيد المستحدث للهوية الإسرائيلية التواقة إلى السلام والحياة الطبيعية فإن إسرائيل المقدسية هى تلك التى تتوق إلى الجذور اليهودية وتجسد كمّاً كبيراً من الآمال والمخاوف وتجذب المجتمعات الإثنية والمهمشة والأقليات «١١٦».

ويبقى فى اللوحة الإسرائيلية المعقدة بعض تفاصيل نحب أن نشير إليها مثل المهاجرين الروس الذين زاد تعدادهم فى إسرائيل اليوم على المليون، وحصلوا فى انتخابات الكنيست فى دورته الرابعة عشرة ١٩٩٦ على ٦ مقاعد وأضافوا دائرة جديدة لدوائر الصراع فى المجتمع الإسرائيلى وذلك بنظرة البعض إليهم كمتطفلين

على اليهودية، فقد شكك البعض فى إسرائيل أن من المهاجرين من زوّر هوية يهودية ليهرب من الفقر فى بلده الأصلى.

وهكذا يزداد الاستقطاب عمقا ويزداد العنف فى المجتمع الإسرائيلى كما يقول الكاتب يائير كوتلر فى صحيفة معاريف.

وكان من نتيجة انتخابات الكنيست فى دورته الرابعة عشرة التى جرت عام ١٩٩٦ وحصلت فيها الأحزاب الدينية على ٢٣ مقعداً من أصل ١٢٣ أى بنسبة تقترب من ٢٠٪ بعدها تحولت القوى الدينية فى إسرائيل من الابتزاز واستعراض القوة على المستوى السياسى والاجتماعى إلى تكريس فرض إرادتها وتجسيد قوتها المتزايدة داخل المجتمع (عدديا) عن طريق زيادة النسل مقابل تحديده عند العلمانيين أو اليساريين، علاوة على زيادة هجرة الأخيرين تاركين إسرائيل لهؤلاء المتزمتين.

كل ذلك يوضح أن الموجود فى إسرائيل الآن ليس مجرد كتلتين سياسيتين أو رؤيتين ثقافيتين بل شعبان لكل منهما هويته ومعتقداته ومفاهيمه الخاصة.

إن ست ثقافات مختلفة تتصارع فى إسرائيل الآن ما بين يهود شرقيين وغربيين ويهود أرثوذكس وعلمانيين ويهود روس وعرب يحملون الهوية الإسرائيلية، والأخطر من ذلك أن القوى الدينية بدأت تنشىء طلائع عسكرية ذات طابع دينى بل وأقامت كلية عسكرية دينية يتخرج فيها قيادات يتدفقون على الوحدات الخاصة بالجيش الإسرائيلى، وارتقوا بالفعل مصاف القيادات الوسيطة فى جيش الدفاع، وربما لن يمضى وقت طويل قبل أن يصبح لهم تمثيل مهم فى هيئة قيادة الأركان "١١٧".

وفى النهاية فإن كل الطرق تؤدى إلى الانفجار فثقوب النسيج المجتمعى تتسع بفعل تنامى مساحات التطرف وازدياد معدلات الجريمة، ويلاحظ المراقبون أن التحركات الاجتماعية والسلوكية اليومية للمجتمع الإسرائيلى تتحشد كقنبلة موقوتة قابلة للانفجار فى أية لحظة، وربما يكون هذا الانفجار داخلياً أو خارجيا بشن حرب ضد دولة عربية لتفادى هذا الانفجار الداخلى أو امتصاص دوافعه "١١٨"، ولكنها فى رأينا مخاطرة جسيمة وحل مجنون مثل الذى يبتر أصبع المريض لأنه يشتكى من ألم فيه، ولكنه على أية حال احتمال لابد أن نفكر فيه ولو أننا ننبه أن هذا الاحتمال قد يعجل بالنهاية فتنهار دولة إسرائيل.. أو تقوم القيامة.

ولكن هل نستطيع أن نطلق حكماً مطلقاً على العرب فنقول مثلاً إنهم شعوب عاطفية لاتجيد قراءة الإشارات التى تتعارض مع أمانيهم الوجدانية؟!

أنا ـ شخصياً ـ أرفض إطلاق الأحكام المطلقة لكننى شعرت بالإحباط الشديد من هذا الفرح الساذج، الذى ساد أوساط العرب عندما سقط نتانياهو عن ظهر جواده الجانح بكل خيالائه وصفاقته ليعتلى ظهر الجواد إيهود باراك.

ولقد تصور العرب أن الذى صعد خير من الذى سقط وأن هذا الفارس النبيل سوف يضع الجواد على طريقه الصحيح، وتأرجحت مشاعرهم بين فرح ساذج وتفاؤل حذر وانخفض صوت الذين لم يروا فرقا بين السلف والخلف أو حجب صوتهم لأنهم بنظر الأكثرية يهوون قلب الأفراح إلى مآتم.. أو لأنهم غير عقلاء وطموحين إلى حد التهور حيث لا يملك العرب بنظر أنفسهم أية خيارات غير خيار السلام!

المهم.. إن انتخابات الكنيست الإسرائيلى فى دورته الخامسة عشرة أسفرت عن عودة حزب العمل الحمائمى لقيادة دفة السياسة فى إسرائيل بعد غياب مؤقت لما يزيد قليلاً على السنوات الثلاث حكم فيها الليكود ممثلاً فى بنيامين نتانياهو ذلك الذى أوقف مسيرة السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب، ولم يكتف بإيقافها بل وضع عراقيل شتى فى طريقها.

وانتقل حزب الليكود إلى مقاعد المعارضة وتقدم الصفوف حزب العمل ممثلاً فى قيادته الشابة إيهود باراك بابتسامته الوديعة وملامحه الدقيقة ولفتاته الرقيقة وفتح ذراعيه فى العواصم العربية والعالمية يعلن للجميع أنه مستعد لإصلاح ما أفسده السلف، ومستعد أيضاً لتفعيل الاتفاقيات واستئناف المباحثات على كل المسارات!!

والعرب صدقوه وهم معذورون لأنهم لم يقرأوا تاريخ إسرائيل ولم يعرفوا أن باراك اسم ارتبط بالتاريخ الحربى للعبرانيين، وفى التوراة هو أحد القادة الحربيين!!

ليكن يا سيد باراك فالعرب يريدون السلام بالفعل ويتمنونه.

لكن لننظر للأمور نظرة أخرى، وليحلم العرب بأنهم سيحصلون من إسرائيل

على أقصى ما يتمنونه: دولة للفلسطينيين وعودة الجولان لسوريا وانسحاب من الجنوب اللبناني و... أعتقد أنه لو نجحت المفاوضات العربية مع إسرائيل فى الوصول إلى هذه النتيجة فهذا يعتبر نجاحا كبيرا مع ملاحظة أن إسرائيل سوف تحتفظ لنفسها بأسس استيراتيجية لن تقبل ـ مجرد ـ التفاوض حولها: يعنى لن تضعها أبداً فى خانة الخيارات مثل التنازل عن المستوطنات التى أقيمت فى بعض مناطق الأرض المحتلة بعد حرب ٥ يونيو ٦٧ أو تسليح الدولة الفلسطينية أو مصادر المياه التى تستولى عليها إسرائيل بالفعل.

وبعد.. إذا تمت تسوية بين العرب وإسرائيل تتفق مع مفردات الحلم العربى وأمانيه وتم توقيع اتفاقيات بهذا الشأن يكون معنى ذلك أن الدراسة السابقة ماهى إلا اجتهاداً خطأ أو تشاؤماً وجدانياً ليس هناك دلائل عقلية تؤيده؟! هذه نتيجة محتملة سوف يصل إليها بعض من أهلنا (الطيبين) العاطفيين الذين يخافون الحرب وسيرتها وصوت لعلعة الرصاص، وذلك نتيجة خبرات سابقة أليمة وطمعاً فى حياة هادئة هانئة وربما اقتناعاً منهم بأن العرب غير قادرين على مواجهة من أى نوع مع إسرائيل!!

.. ولو، ومع الاعتذار لأهلنا الطيبين ولهؤلاء الذين يهوون النظر للأمور بعين واحدة ويفسرون التاريخ تفسيرا جزئيا مرحلياً، فإن ثمة إشارات واكبت وتزامنت مع وصول باراك للحكم لابد أن نحسن قراءتها مثل:

ـ استمرار سرقة الأراضى الفلسطينية بإقامة مستوطنات جديدة بطرق غير شرعية، أو إقامة نقط أستيطان خارج المستوطنات القائمة بالفعل فى الضفة الغربية بتشجيع من رجال السلطة الإسرائيلية.

ـ تحركات إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط وتحالفاتها وتعاونها الفنى والعسكرى مع أطراف أخرى للسيطرة على البحر المتوسط والبحر الأحمر عبر دول مثل تركيا وأريتريا.

ـ فى الشهور الأولى من عام ١٩٩٩ سربت الصحف الإسرائيلية أنباء عن استيراتيجية جديدة لجيش الدفاع الإسرائيلى تهدف إلى تحويله من جيش إقليمى

ينصب نشاطه فى حدود الدول العربية إلى جيش عالمى صاحب ذراع طويلة حديثة تمكنه من وصول نيرانه إلى الدول الإسلامية البعيدة عنه جغرافياً مثل إيران، وباكستان وكازاخستان وذلك عبر خطة عدوانية طموح تتضمن عدة مراحل تبدأ بتكون قاعدة معلوماتية مخابراتية واستحداث وسائل تنصت وإنزار وحرب إلكترونية حديثة وأسلحة متقدمة، وتنتهى بتكون مراكز للقيادة والتعاون العسكرى مع بريطانيا وأمريكا، الحكومتين اللتين تشاركان إسرائيل المصالح الأمنية.

ـ حصول حزب شاس الممثل للقوى الدينية المتطرفة فى إسرائيل على ١٧ مقعداً فى انتخابات الكنيست الخامس عشر التى جرت فى الربع الأول من عام ١٩٩٩، وهى نسبة كبيرة نسبياً تعنى تصاعد القوى الدينية وعدم تراجعها واستمرارها فى لعب نفس الدور فى السياسة الإسرائيلية الذى بدأته مع دخولها المظفر على الساحة مع انتخابات ١٩٧٧، وهذا يعنى أيضاً أنه لم يعد ممكنا فصل الدين عن الدولة فى إسرائيل.

وعودة إلى باراك صاحب مشروع (الشروع فى السلام) هذا الذى أعلن للجميع قبل وبعد أن يصل لمقعد الحكم أن هناك ثوابت فى سياسته للأمور هى فى الحقيقة ثوابت فى سياسة دولة إسرائيل ـ نفسها ـ لاتقبل مساومة ولاتخضع للتفاوض لخصمها فى عدة لاءات ترفض عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم أو إخلاء المستوطنات أوالتفاوض حول القدس، وتسربت أخبار تقول: إن بعضا من الساسة والقادة الفلسطينيين كانوا يتفاوضون سراً على عاصمة أخرى (غير القدس) لدولة فلسطين التى هى فى علم الغيب ـ على الأقل ـ حتى كتابة هذه السطور (ديسمبر ١٩٩٩).

وهكذا لابد أن نفهم جميعاً أن الخلفيات الدينية والسياسية والاقتصادية هى التى تحكم إسرائيل منذ قيامها وإلى ما شاء الله، وهى التى تسيّر علاقاتها الداخلية والخارجية، فإذا كانت السياسة والاقتصاد يتم ترجمتهما على أرض الواقع إلى سياسات وقرارات تتبدل وتتغير كل يوم فإن العقيدة الدينية تبقى فى الصدور والعقول الواعية والباطنة تسيطر على الأفراد وعلى الجموع وتوجههم وجهتها.

بقى أن نقول إن إسرائيل اليهودية تفكر فى أمر الصدام مع الإسلام بشكل أكثر

جدية مما نتصور، وتستعد وتتجهز لهذا الصدام على المستوى الاقتصادي والثقافي مثلما تستعد على المستوى العسكري... والتهديد أخطر مما نتصور ولايتناسب مع استخفافنا في التعامل مع إسرائيل ، أيضاً مازال كثيرون من كلا الجانبين (المسلمون واليهود) ينظرون للصراع على أنه ليس صراع حدود ولكن صراع وجود ومنْ منِ الجانبين يستطيع تحريم الآخر بحد السيف أو على الأقل نفيه، فإذا كانت الحناجر العربية والإسلامية هي التي تتبنى هذا المعتقد الوجداني فعلى الجانب الآخر يتبنى هذا المعتقد اللاهوتيات الدينية وتؤسس له وتزرعه في دم الحاريديم (المرتعشون من مخافة الله) اليهود!!

.. وتشاءون ويشاء الله ويبقى سبحانه الملجأ والملاذ ومستقر الرحمة.

عاطف عبدالغنى

الهوامش

«١» الأب متى المسكين/ تاريخ إسرائيل.

«٢» هود ـ آية ١٠٧ .

«٣» الإسراء ـ آيات ٤ ـ ٦ .

«٤» الأنبياء ـ آية ٩٦ .

«٥» القرطبى وابن كثير.

«٦» (٢ كو ٥: ١٠).

«٧» (أ ع ١: ٧).

«٨» (لوقا ٢١: ١١).

«٩» (لوقا ٢١: ١٢).

«١٠» (لوقا ٢١: ١٦: ١٧).

«١١» (١ـ تى ٤: ١).

«١٢» كما ورد فى (متى ٢٤).

«١٣» (رو ١١: ٢٥ ـ ٢٦).

«١٤» القس إبراهيم عبدالسيد (الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية).

«١٥» انظر القس إبراهيم عبدالسيد (الألف سنة).

«١٦» اختلف مؤرخو الكتاب المقدس حول تاريخ كتابة سفر الرؤيا وهل هو قبل عام ٧٠م أو عام ٩٦م ، وأهمية هذا التاريخ تعود إلى ربط التفسيرات ببعض الأحداث التى وقعت فى تاريخ كتابة السفر.. انظر: دراسة تفسيرية فى سفر الرؤيا د. هانى ماهر.

«١٧» تكوين (٤٩: ١٠).

«١٨» ملاخى (٣: ١ـ ٥)

«١٩» عاموس (٥: ١٨ـ ٢٠)

«٢٠» د. حسن ظاظا– الفكر الدين الإسرائيلى ص١١١ .

«٢١» د. حسن ظاظا مرجع سابق ص١٠٩.

«٢٢» نفس المرجع السابق ص ١١٣ .

«٢٣» (أشعياء ٩: ٢).

«٢٤» (أشعياء الإصحاحات ١١، ١٢).

«٢٥» (أشعياء ٤٠: ١).

«٢٦» (أشعياء ٤٠: ٣و ١١)

«٢٧» (دانيال ٢: ٤٤).

«٢٨» (أرميا ٢٣: ٥).

«٢٩» انظر أساطير التوراة للمؤلف.

«٣٠» انظر د. حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى (مرجع سابق).

«٣١» (أشعيا ٩: ٦ ـ ٧).

«٣٢» (حزقيال أعداد من الإصحاحين التاسع والثلاثين، والأربعين).

«٣٣» (خروج ٧: ١٦).

«٣٤» (خروج ١٣: ٢١).

«٣٥» (خروج ٢٩).

«٣٦» (خروج ٣٣).

«٣٧» (عدد ١٠: ٣٥ ـ ٣٦).

«٣٨» (تثنية ٣١: ١٤ـ ١٥).

«٣٩» (صموئيل الثانى ٧: ١ـ١٦).

«٤٠» تاريخ بنى إسرائيل (الأب متى المسكين ص ٩٨.

«٤١» المرجع السابق ص٩٩.

«٤٢» من كتاب تاريخ إسرائيل ـ مرجع سابق ـ نقلا عن

Edersheim- The Temple, pp. 17- 81.

«٤٣» مرجع سابق ص ١٠١، ١٠٢.

«٤٤» انظر:

AuCOEUR De L,integrisme JuiF

FRANCE, ISREAL, ETATS- UNS

pAR EMMANVEL HAYMANN

طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة سعد الطويل ومراجعة د. جمال أحمد الرفاعي.

«٤٥» المرجع السابق (مقدمة المُراجع) ص٩ .

«٤٦» قاموس المورد (منير البعلبكي).

«٤٧» الترجمة العربية لكتاب «MANKIND'S seaRch For God» إصدار المركز الرئيسي لجماعة شهود يهوه ـ بروكلين، نيويورك.

«٤٨» في الأدب الصهيوني ـ غسان كنفاني ـ ص٨٢ إصدار مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.

«٤٩» القوى الدينية في إسرائيل ـ تأليف د. رشاد عبدالله الشامي ص٢٦.

«٥٠» انظر أساطير التوراة للمؤلف ـ طبعة دار الحضارة.

«٥١» الأصولية اليهودية (مرجع سابق) ص١٣٤.

«٥٢» أساطير التوراة (مرجع سابق).

«٥٣» انظر الأصولية اليهودية (مرجع سابق).

«٥٤» د. رشاد عبدالله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل ص٧٧

«٥٥» القوى الدينية في إسرائيل (مرجع سابق)

«٥٦» المرجع السابق ص ٢٥١

«٥٧» انظر:

The world of Jewish

FundAMENTALISM

Dovid LANDU

«٥٨»

FAQ-on HASidic culture and customs

DART 1/ Maiintoind By Yonasan Gershom

INTERNET/ File: l hasid 1.ht ML

«٥٩» انظر عمانويل هامان/ الأصولية اليهودية (مرجع سابق).

«٦٠» David LANDVu مصدر سابق.

«٦١» عمانويل هامان/ مرجع سابق.

«٦٢» David Lando / مرجع سابق .

«٦٣» إسرائيل شاحاك / مرجع سابق .

«٦٤» القوى الدينية فى إسرائيل - مرجع سابق ص ٨٩.

«٦٥» د. جمال أحمد الرفاعى / هامش الترجمة العربية لكتاب الأصولية اليهودية ص ٥٩ / مرجع سابق.

«٦٦» انظر الأصولية اليهودية / مرجع سابق.

«٦٧» «الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود» إسرائيل شاحاك / ترجمة حسن خضر ص ٤٤ .

«٦٨» سورة النساء / الآية (١).

«٦٩» سورة آل عمران / الآية (١١٠) .

«٧٠» سورة المائدة / الآية (٦٩) .

«٧١» سورة آل عمران / الآية (٦٨) .

«٧٢» انظر تفسير القرطبى .

«٧٣» إسرائيل شاحاك / مرجع سابق.

«٧٤» انظر الأصولية اليهودية/ عمانويل هامان (مرجع سابق).

«٧٥» د. عبد العاطى محمد/ مقال منشور بجريدة الأهرام بتاريخ ٨/ ١١/ ١٩٩٥.
وطبقاً للتاريخ المنشور فيه المقال فالكاتب يقصد الدورة الثالثة عشرة للبرلمان الإسرائيلي «الكنيست»..

«٧٦» انظر القوى الدينية فى إسرائيل/ د. رشاد عبدالله الشامى «مرجع سابق».

«٧٧» أسماء سيف/ مقال منشور فى مجلة أكتوبر القاهرية/ العدد ١١٠٩ .

«٧٨» أنظر الأصولية اليهودية ـ عمانويل هامان (مرجع سابق).

«٧٩» David LANDU مرجع سابق.

«٨٠» القوى الدينية فى إسرائيل ـ د. رشاد الشامى ص ٢٨٤.

«٨١» مقال منشور فى صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ٦/ ٣/ ١٩٩٢.

«٨٢» الأصولية اليهودية/ مرجع سابق.

«٨٣» أسماء سيف/ مجلة أكتوبر العدد ١١٠٧ ترجمة لكتاب ناداف شراجى ـ جبل المكبر ـ جبل العداوات).

«٨٤» المصدر السابق.

«٨٥» أسماء سيف/ مرجع سابق/ عدد رقم ١١١٠ مجلة أكتوبر.

«٨٦» المصدر السابق/ العدد رقم ١١١١ من مجلة أكتوبر.

«٨٧» الأصولية اليهودية/ إيمانويل هيمان ص ١٩٤ (مرجع سابق).

«٨٨» جيلزكيبل ـ ثأر الله ـ مرجع سابق ص١٨٧.

«٨٩» David LANDU مرجع سابق.

«٩٠» أنظر الأصولية اليهودية (عمانويل هامان) مرجع سابق.

«٩١» مجلة روز اليوسف: تقرير خاص منشور فى العدد الصادر بتاريخ ٨/ ٦/ ١٩٩٨.

«٩٢»David LANDU مرجع سابق.

«٩٣» د. رشاد الشامى/ القوى الدينية فى إسرائيل ص٤٨.

«٩٤» د. رشاد الشامى المرجع السابق نقلاً عن موشيه سميث: الصراع حول جعل قيم اليهودية فى إسرائيل مؤسساتية (الجامعة العبرية القدس ١٩٧٩).

«٩٥» أسماء سيف/ مجلة أكتوبر العدد ١١٠٩ ص ٣٤.

«٩٦» د. رشاد الشامى/ مرجع سابق ص٥٨.

«٩٧» شالوم كوهين (الله برميل بارود، إسرائيل وأصوليوها ص ٢٨).

«٩٨» الأصولية الإنجيلية/ محمد السماك ص١٢٩.

«٩٩» المصدر السابق ص١٣٠.

«١٠٠» المصدر السابق ص ١٣٥.

«١٠١» انظر المصدر السابق.

«١٠٢» انظر ثأر الله ـ جيلزكيبل ـ ترجمة نصير مروة ص ١٢٩

«١٠٣» الأصولية الإنجيلية (مرجع سابق) ص٨٦

«١٠٤» محاضرة للقس إبراهيم عبدالسيد منشورة فى نشرة المجتمع المدنى عدد ٨٧ إصدار مارس ١٩٩٩.

«١٠٥» نفس المصدر السابق.

«١٠٦» الأصولية الإنجيلية ـ مرجع سابق ص ١٦٥ .

«١٠٧» المصدر السابق ص ١٦٧ .

«١٠٨» الإسلام العدو.

«١٠٩» المصدر السابق ص٢٠٤ .

«١١٠» المصدر السابق ص ٢٠٥

«١١١» ثأر الله (مرجع سابق) ص٢١٢ .

«١١٢» المصدر السابق ص ٢١٣ .

«١١٣» روز اليوسف عدد ٢٢/ ٢/ ١٩٩٩ تقرير خاص من رام الله.

«١١٤» د. طه المجدوب سلسلة مقالات (إسرائيل من الداخل) الأهرام اليومى ٧/ ٦/ ١٩٩٨ .

«١١٥» المرجع السابق نقلاً عن مقال منشور فى جريدة يديعوت أحرونوت للكاتب الإسرائيلى ناحوم بارنياع..

«١١٦» شلومو بن عامى ـ الأهرام ـ مقال منشور بتاريخ ٢٥/ ١/ ١٩٩٩ .

«١١٧» د. رشاد الشامى فى حديث له منشور فى جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٢/ ١/ ١٩٩٩ .

«١١٨» د. طه المجدوب سلسلة مقالات (إسرائيل من الداخل) الأهرام اليومى ٢٤/ ٥/ ١٩٩٨ .

محتويات الكتاب



7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

صدام الأصوليات

إن الإفراز الديني السياسي هو أخطر ما يمكن أن تتعرض له الحضارة الإنسانية الآن من تدمير كذلك فإن من الخطر اللعب بالمعتقد الدينى من أجل «طوئفة» الجماعات الإنسانية فى كتل متناحرة.. فباسم الله يرفع البعض الآن «سيف الله» على الإنسانية كلها بكل أديانها والتى من المفترض أن تتجاور شعوبها للسمو بالجنس الإنسانى وفق التعاليم السمحة للأديان السماوية.

وإذا كنا نسجل رفضنا للاستغلال المبنى على رؤية قاصرة للدين الإسلامى فإننا نوضح أيضاً ومن خلال الواقع أن هذا التطرف الإسلامى غير موجه نحو «الآخر الديني» بعكس ذلك التطرف «اليهودى» الذى تحكمه موجة الهوس الدينى الذى لا يرضى إلا إقامة مملكة إسرائيل الربانية والتى لن تقوم بنظر هؤلاء المهوسيين المتشبعين بالأساطير. إلا طبقاً لسيناريو مرعب أبرز مشاهده تدمير الأماكن الإسلامية فى مدينة القدس تمهيداً لإقامة الهيكل الثالث اليهودى أو هبوطه من السماء، أيضاً قيام معركة كبيرة فى منطقة الشرق الأوسط تنتصر فيها جيوش رب إسرائيل على قوات الشيطان من الأمم الأخرى لتحكم بعدها إسرائيل العالم لمدة ألف سنة سعيدة !!

وعلى ذلك فهذه الدراسة تهتم برصد ظاهرة تنامى الأصولية اليهودية وتحلل أسبابها سواء فى معقلها الإسرائيلى أو فى دول الشتات، وتحاول أن تفهم أسباب نظرة الأصولى اليهودى للآخر تلك النظرة التى يحكمها موروث دينى معقد يتسم بالعنف المبالغ فيه إلى حد التحريم (الإبادة) أو النفى والاستعباد..

هذه المعتقدات والقيم السلبية التى يروج لها حاخامات الأصولية اليهودية بين طوائف المجتمع الإسرائيلى وتدفعه بقوة إلى النهاية المحتومة.. نهاية إسرائيل أو نهاية العالم.

الناشر

دار الخيال - القاهرة - لندن